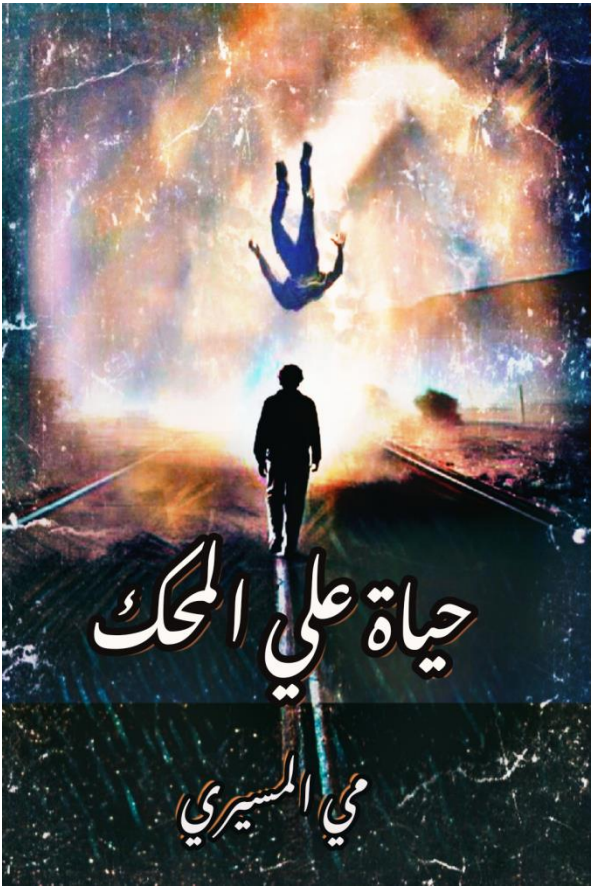
حياة علي المحك
مي المسيري

حياة علي المحك
بقلم
مي المسيري

البداية

كم شخص منا اعتاد التذمر من حياته كجزء من روتينه اليومي فتارة يتذمر من الملل و تارة أخري يتذمر من العمل و غيرها و غيرها من الأشياء البسيطة التي نتعرض لها يوميا, أنا أيضا كنت أحد هؤلاء الأشخاص في مرحلة ما من حياتي أما الآن فليس لدي سوي أمنية واحدة فقط و هيا أن تعود حياتي عادية كما كانت و لن أطلب أي شيء أخر طالما حييت.....

دعني أعرفك بنفسي باختصار مصطفي سليم عبد الحي, مهندس وحيد و بائس بجداره فقدت أسرتي في حادث سيارة منذ زمن بعيد لكني لم أتقبل فكرة خسارتهم بعد كأنه كابوس سأستيقظ منه يوما و أجدهم بجواري في شقتنا بحي المعادي, لازال عقلي يخيل لي أنهم قد سافروا إلي مكان بعيد و سيعودوا يوما ما, علي أي حال دعنا لا نتطرق للمزيد من التفاصيل فلقد قاسيت في حياتي بما يكفي أو هكذا كنت أظن, فحياتي هي المثال الحي للحياة الروتينية المملة أذهب لعملي صباحا, أشتري احتياجاتي ثم أعود لأجلس وحيدا بمنزلي أشاهد التلفاز و أتناول الطعام, لا أقارب, لا أصدقاء حقيقيون عدا صديق واحد فقط لا غير و الباقون أقابلهم في المناسبات حياة روتينية إلي أقصي حد لكن كحال الحياة دائمة التقلب تحولت حياتي في يوم واحد فقط من الهدوء إلي كارثة متكاملة الأركان

2019/4/5
بداية اللعنة

يبدو أن كل التعاسة التي عشتها في حياتي لم تكن كافية أذكر هذا اليوم جيدا صادف عيد ميلادي و لو أني لا أعتقد أنها كانت محض صدفة لكن ما أنا متأكد منه أنها كانت البداية بداية كل شيء.
استيقظت صباحا كعادتي يوم عادي كغيره من الأيام ما أقصي شيء يمكن أن يحدث يوم عيد ميلاد الإنسان, احتفال مفاجئ في المساء مع أصدقائي إذا تذكروني من الأساس أو علي أسوء الفروض أقضي اليوم وحيدا لكن ما حدث فاق جميع توقعاتي كان أبشع من أبشع كابوس قد يستيقظ عليه إنسان.
فتحت عيني بتثاقل بمجرد أن شرع ذلك المنبه المزعج في الصراخ بجواري لحظات أستوعب بها انتقالي من عالم الأحلام إلي أرض الواقع, أنهض من سريري بكسل لأجلس في مقابلة الحائط استعدادا للنهوض

أفرك عيني عدة مرات متتالية لأتأكد أن ما أراه حقيقة و ليس تكملة لكابوس ما لينتهي بي الأمر أحملق في الحائط بذهول لدرجة كادت بها مقلتي أن تخرجان من محجريهما بالمعني الحرفي فهما لم يستوعبان بعد ما رأوا, لا أعلم كم من الوقت مكثت حاولت إغلاق عيني للحظات عسي أن يعود كل شيء لطبيعته عندما أفتحهما مرة أخري لكن لم يتغير شيء لازلت أري نفس الكلمات اللعينة تحتل جدار حجرتي بكل وقاحة كلمات كتبت بلون أحمر قاني أقرب منه للون الدماء أربعة كلمات فقط كانت كفيلة لتقلب حياتي بأكملها رأسا علي عقب
"ستموت في ثلاثين يوما ".
تحاملت علي قدمي المرتعشة و بخطوات ثقيلة نهضت من علي السرير في محاولة بائسة لتفحص الحائط عن قرب و ياليتني لم أفعل, ابتعدت عنه بفزع بمجرد لمسه كمن صعق بالكهرباء جسدي بالكامل ينتفض دون إرادة مني هذه الكلمات مكتوبة حقا بالدماء ليس محض لون كما ظننت فهذا الملمس

اللزج السميك و هذه الرائحة البشعة و الكتل الصغيرة المتجلطة ليس لها معني أخر للأسف.
خرجت من الغرفة و أنا أركض كأن شياطين الجحيم بأكمله تلاحقني, جلست علي أول مقعد وجدته أمامي و جسدي يرتجف كطفل صغير خرج من البحر لتوه خائف, مرتجف, تائه, أحاول تجميع شتات أفكاري و أسئلة كثيرة تدور بخاطري لكن للأسف بلا إجابة واحدة تهدئ من روعي و ترحم عقلي من التفكير .
من من مصلحته إيذائي بهذا الشكل ؟ و كيف استطاع دخول منزلي المغلق بإحكام بهذه الأريحية ؟ و لماذا يرغب في قتلي ؟ فأنا طوال حياتي بأكملها لم أؤذي أحدا يجب أن اتصل بعامر علي الفور هو الوحيد القادر علي مساعدتي و أنا في هذه الحالة فعامر صديق طفولتي و ضابط في المباحث في نفس الوقت, و بعد وفاة أسرتي أصبح أقرب شخص بالنسبة لي.

و بالفعل اتصلت به و التوتر يسطير علي كل ذرة في جسدي حتى صوتي خرج مرتجفا مثلي تماما.
- عامر كيف حالك أنا ....أنا ...أحتاج لمساعدتك بشكل عاجل لقد حدث معي شيء سيء ... سيء للغاية لا زالت لا أفهم ما هو لكن عليك أن تساعدني ..
-أهدأ قليلا يا مصطفي و أخبرني بما حدث.
- حسنا,سأخبرك ...
في البداية ظن أنها مني لجذب الانتباه لأن اليوم عيد ميلادي لكن بعد أن رويت له ما حدث بالكامل غير رأيه تماما و شعر بوجود خطر حقيقي يهدد حياتي ..لسوء حظي كان في مأمورية و لن ينتهي منها حتى المساء لذلك طلب مني الذهاب لعملي فمكان به الكثير من الأشخاص سيكون أمن بالطبع حتى يأتي المساء و نلتقي في المنزل.

لم أستطع التركيز في عملي طوال اليوم أو حتى التوقف عن التفكير في ما حدث و لو للحظة واحدة جلست علي مكتبي شاردا لا

أشعر بما حولي, لا أسمع ثرثرتهم التي اعتدت أن تزعجني كأني حبيس فيلم صامت بطله الوحيد هو جدار حجرتي الملطخ بالدماء, كأن صورته قد حفرت داخل رأسي !

أنهيت عملي وعدت للمنزل بخطوات مترددة كأن من فعل بي هذا ينتظرني ليكمل ما بدأ, اطمأننت قليلا عندما رأيت عامر ينتظرني أمام الباب, حالته لم تختلف كثيرا عن حالتي حتى أننا لم نتحدث قط, دخل الغرفة علي الفور ليتفحصها فهو يحفظ مكانها عن ظهر قلب, انتظرت دقيقة بعد دخوله ثم تبعته للداخل كأني كنت أنتظر أن يتأكد من عدم وجود دخلاء مختلين أولا .

صدم عامر من المنظر في البداية لكن بالتأكيد ليس كصدمتي عندما وجدته أمامي دون أي مقدمات فعلي الأقل هو قد علم بالأمر مسبقا, بعد لحظات وصل فريق المعمل الجنائي الذين استدعاهم لرفع البصمات و أخذ عينة من الدماء الموجودة علي الحائط و أشياء من هذا القبيل, مجرد

بداية قد تكون السبيل للوصول للفاعل و إنهاء هذا الكابوس .
تلي ذلك جلسة طويلة لإكمال المحضر بشكل رسمي, معظم الأسئلة كان يعلم إجابتها بالفعل بحكم صداقتنا لكن بحكم عمله لا يريد أن يترك أي مجالا للصدفة, كانت الأسئلة متمثلة في معرفة من يدخل منزلي عادة ؟.. من له مصلحه ليؤذيني ؟ ..هل يوجد لدي أعداء؟ حتى أنه سألني إذا كان هناك من يملك نسخة من مفاتيح شقتي ؟ معظم الأسئلة كانت من هذا القبيل أغلبية .
غادر فريق التحقيق و بقيت أنا و عامر وحدنا أخيرا تحدثنا قليلا بعدها هم بالرحيل , لكنه لم ينسي بالطبع نصحي بالتأكد من إغلاق جميع الأبواب و الشبابيك جيدا حتى نكتشف ما نحن بصدد مواجهته و أن أبلغه إذا لاحظت أي شيء مثير للريبة من حولي ثم رحل من منزلي بهدوء.
حاولت النوم كثيرا لكن بلا فائدة أي صوت مهما كان بسيطا كان كفيلا بأن يصيبني بالفزع تاركا لعقلي الساحة ليفعل بي

الأفاعيل, فيدفعني لتخيل المجرم قادم لقتلي بسكينه الضخم كلما أغمضت عيني فأنهض مسرعا لأتأكد من غلق كافة الأبواب و الشبابيك في كل مرة بشكل هيستيري لو أن الأمر استمر لساعة واحدة أخري لأصبت بالجنون بلا شك, أدركت أني لن أستطيع إكمال ليلتي في هذا العذاب الذي سيهلكني بلا شك, لذلك لجأت لإحدى الحبوب المنومة و ذهبت لعالم أخر حتى أهرب من واقعي الأليم.

لم تختلف حالة عامر عني كثيرا هو أيضا جافاه النوم هذه الليلة الفرق أنه قضي ليلته في البحث عن تفسير لما حدث معي لكنه لم يجد.

انتهت الليلة أخيرا و جاء الصباح و علي الرغم من عدم تغير شيء لكن ضوء أشعة الشمس دائما ما يبعث في نفسي الطمأنينة,توقعت ألا أتفاجئ من منظر الحائط هذه المرة لكن ما رأيت ضرب بكل توقعاتي عرض الحائط فيبدو أن الأمر لم يتوقف عند ما حدث بالأمس أبشع كوابيسي

يتكرر للمرة الثانية كأنه أمر واقع فرض نفسه علي حياتي دون إرادة مني, الرقم علي الحائط تغير بكل وقاحة ليصبح تسعة وعشرون يوما باقون علي قتلي من قبل معتوه لا أعرفه و لا أعرف حتى السبب !
كيف لي أن أصدق ما تراه عيني ؟ كيف استطاع دخول منزلي للمرة الثانية و بهذه السهولة؟
فأنا متأكد من إغلاقي كافة الأبواب و الشبابيك بالأمس بإحكام... هل سيستمر هذا طوال المدة التي أعطاني إياها هذا الحقير ؟ هكذا ببساطة يتسلل إلي منزلي بكل أريحية يوميا لينغص صفو حياتي ؟
إنه الجحيم بعينه شريط حياتي مر بالكامل أمام عيني في هذه اللحظة, أعصر عقلي عصرا في محاولة بائسة من شخص بائس أحاول تذكر أي شخص أذيته لدرجة تدفعه لإيذائي بهذا الشكل الشنيع لكني لم أجد فطوال حياتي لم أملك القدرة علي إيذاء نملة حتى فما بالك بإنسان من لحما و دم .

لم يبقي أمامي حل سوي الاتصال بعامر للمرة الثانية و هو كعادته لم يتأخر و جاء علي الفور, و بعد التدقيق في الرقم الجديد لاحظ أن الدم المكتوب به الرقم أجدد من باقي الدماء و أن الرقم الأخر قد مسح بمادة منظفة لكن كل هذا متوقع خرجنا للصالة لنكرر ما فعلنا بالأمس دون الوصول إلي نتيجة مرضية.

- مصطفي هذا الشخص إما شديد الذكاء أو مريض نفسي أو كلاهما معا و في كلتا الحالتين هذا الشخص خطير جدا و تصرفاته غير متوقعة بالمرة لذلك عليك أن تقيم معي هذه الفترة علي الأقل حتى تظهر نتيجة المعمل الجنائي .

بصراحة لم أمانع هذه الفكرة علي الإطلاق فلم أعد أطيق البقاء في المنزل أكثر من ذلك علي أي حال, أخذت بعض الأغراض في حقيبة صغيرة ثم ذهبت مع عامر إلي منزله مكثت هناك ثلاث أيام كاملة استطعت فيها استعادة اتزاني إلي حد ما, بل قدرتي علي النوم الهادئ أيضا, لم أذهب للمنزل في

خلال هذه الفترة و لو لمرة واحدة إنه الخوف يا صديقي الذي يحركك بين يديه كدمية لا حول لها ولا قوة .

****

أخيرا ظهرت نتيجة المعمل الجنائي التي انتظرناها كثيرا, فهي أملنا الوحيد للإمساك بالجاني لكن هذا الأمل تحطم إلي أشلاء عندما اتضح أن الدماء الموجودة علي الحائط ليست إلا دماء أرنب تعيس الحظ وضعه

القدر في طريق شخص مختل عقليا ليكتب بدمائه علي حائط حجرة نومي أما البصمات فتخصني أنا فقط و بهذا عدنا مرة أخري إلي نقطة الصفر الخيط الوحيد الذي تعلقنا به قطع ووصلنا لطريق مسدود .
بكل هدوء جهزت أمتعتي و قررت العودة إلي المنزل حاول عامر منعي كثيرا لكني اتخذت قراري بالفعل و لن أغيره.
- لا تخف عامر فالمجرم أعطاني مهلة شهر و لا أعتقد أنه سيقتلني قبل انتهاء الوقت المحدد و مع الحبوب المنومة لن يكون الأمر بالصعوبة التي تتخيلها .
- ألا تدرك خطورة ما تفعل, يبدو أن الحادثة قد أفقدتك عقلك لكني لن أسمح لك بتنفيذ هذا الجنون.
أجبته بشكل حاسم حتى ننتهي من هذا النقاش الذي حسمت نتيجته بداخلي مسبقا.
- و أنا لن أقبل النقاش في الأمر أكثر من ذلك لقد حسمت أمري و سأذهب علي أي حال فلا تحاول منعي .

- كم أنت عنيد علي الأقل لا تحاول الاحتكاك معه بأي شكل من الأشكال حتى لو اضطررت اصطناع النوم فلا أحد يعرف ما قد يفعله لا يمكن أن نجازف بهذا الشكل .
- لقد أخبرتك لتوي أن هذا ما سأفعله لذلك سأتناول الحبوب المنومة و لن أشعر بقدومه من الأساس و علي أي حال أنا أثق بك جيدا ستصل للمجرم قريبا بلا شك و تنقذ حياتي .
نظر إلي بتأثر أكاد أجزم أن الدموع قد بدأت بالترقرق داخل عينه علي الرغم من إنكاره لذلك .
- بالتأكيد سأصل إليه لن أسمح لأي شيء سيء أن يصيبك سأحميك مهما كلفني الأمر سأحميك و لو كلفني ذلك حياتي .
- معاذ الله لا تقل هذا الكلام و تغضبني فقط أعثر عليه دون أن يتأذي أيا منا .
بعد هذا الوداع المؤثر عدت إلي منزلي و كأن كل خوفي و فزعي عاد معي بمجرد الدخول من الباب, في البداية لم أرغب بدخول الحجرة ترددت كثيرا قبل اتخاذ هذا القرار حتى أني في مرحلة ما فكرت في

النوم في حجرة والدي هذه الفترة علي الأقل لكن هذا كان أصعب من الموت ذاته فأنا لم أتجرأ علي فتحها حتى منذ أن فقدتهم و بالطبع لن أقدم علي هذه الخطوة الآن تراجعت بسرعة عن الفكرة و قررت أن أتشجع قليلا و أدلف لحجرتي كنت قد توقعت بالفعل ما سأراه بالداخل لكن التردد لم يفارقني و لو للحظة و أنا أقدم عليه, و ما توقعته وجدته تماما الرقم قد تغير الآن ليصبح خمسة و عشرون يوما لم أتفاجئ هذه المرة يبدو أني بدأت بالاعتياد علي الأمر يا لا سخرية القدر.

****

لا أعلم كم يوم مر و أنا علي هذه الحالة فقد كنت أتجنب حتى مجرد النظر للحائط, أعتقد أني لم أغادر المنزل طوال هذه المدة سوي مرة أو مرتين لشراء احتياجاتي لا أكثر فحتى عملي أخذت منه إجازة بدون أجر مؤقتا فهذه الحادثة أفقدتني تركيزي بشكل كامل .

أما عامر فاعتاد أن يطمأن علي بين الحين و الأخر.. لكن حتى الآن لم يصل لأي معلومة عن المجرم, لم يحصل علي طرف خيط واحد حتى يخمد به النار المشتعلة بداخلي.

بعد مرور خمس أيام

اتصل بي عامر و الحماس بادي علي صوته بشكل كبير يبدو أنه هناك خبر جيد أخيرا .

- لاقيني في منزلك علي الفور الأمر ضروري.

- أنا في المنزل بالفعل أنت تعلم جيدا أني لا أغادره هذه الأيام لكن ما الأمر يبدو من الحماس المسيطر علي صوتك أنك قد حصلت علي معلومات جديدة هيا أخبرني بسرعة فأنا علي استعداد لفعل أي شيء مقابل خبر جيد الآن .

- لن أستطيع إخبارك علي الهاتف سآتي لمنزلك علي الفور لن أتأخر.

نصف ساعة و دق جرس الباب, لم يتأخر إطلاقا كما أخبرني, كان يحمل معه حقيبة صغيرة سوداء اللون متوسطة الحجم لم يعطيني أي فرصة للكلام أو سؤاله عن

محتوي الحقيبة بل دلف علي الفور متخذا من أحد مقاعد الصالون المجاورة للطاولة مكانا له شرع يتحدث و هو يفرغ محتويات الحقيبة علي الطاولة .

- كان يجب أن تكون خطوتنا الأولي لا أعرف كيف غابت هذه الفكرة عن ذهني لكن يبدو أن تعرض أقرب الناس إليك للخطر يشل تفكيرك إلي أقصي الدرجات لقد أحضرت معي بعض كاميرات المراقبة سأقوم بتركيبها في جميع أنحاء المنزل و بهذا سنعرف من هو هذا المجهول الذي يحب الغموض كثيرا .
- و أنا أليس لدي أي دور في هذه الخطة العبقرية ؟
- أنت لن تفعل أي شيء سوي المعتاد فاليوم سيمر بشكل طبيعي, ستتناول حبوبك المنومة و تخلد في نوما عميق و في الصباح سيكون المجرم قد وقع في فخنا وسنعلم من هو وحينها أعدك أني لن أرحمه علي ما فعله بك فلا أحد

يستطيع أن يؤذي صديقي و أنا علي قيد الحياة .

- لا أعلم ماذا كنت سأفعل بدونك حقا فأنت الوحيد الذي تبقي لي في هذه الدنيا و لولاك لكنت فقدت عقلي منذ زمن بعيد .
- لا تبالغ, و الآن هيا بنا لنبدأ بالتنفيذ.

بدأنا بوضع الكاميرات بشكل غير ظاهر حتى لا يشتبه المجرم في أي شيء و نخسر فرصتنا في الوصول إليه .

مر الوقت بطيئا هذا المساء بالنسبة لعامر بالطبع, فعقله لم يتوقف عن القلق و التفكير فهو يخشي أن يكتشف أمر الكاميرات و تفشل خطتنا و حينها قد يؤذيني هذا المعتوه عقابا لما فعلنا ....كان ينتظر الصباح علي أحر من الجمر أما أنا فالعكس تماما تناولت حبتي المخدرة و غرقت في النوم حتى لا أفكر أو أشعر بأي شيء من الأساس .

في الصباح الباكر استيقظت علي صوت جرس الباب الذي يدق بهستريا كأن شخصا قد هرب من مشفي الأمراض العقلية للتو و

جاء ليدق بابي بهذا الشكل, بالطبع كان عامر لم يقدر علي الصبر أكثر من ذلك حتى أنه لم يلقي علي التحية دخل الشقة مسرعا لإحضار تسجيلات الكاميرا تبعته و أثار النوم لا زالت بادية علي وجهي وجسدي يتخبط من الخدر الذي لم يتخلص منه بعد .
بعد لحظات انتفض جسدي بقوة إثر صراخه الهستيري الذي أفزعني بالكامل لدرجة لا تتخيلها كان يصرخ بعصبية شديدة لم أعتدها منه ففي الأحوال العادية يمكنك أن تقول أنه أكثر الناس هدوءا علي كوكب الأرض لكن ماذا حدث ليثير سخطه لهذه الدرجة المفزعة.

- لا, لا يمكن أن يحدث هذا ؟
التسجيلات أين ذهبت التسجيلات ؟
كيف اكتشف خطتنا فأنا لم أخبر أحد بها ؟
كيف يسبقنا بخطوة في كل مرة ؟
أمسك بذراعي بقوة كمن أصابه مس من الجنون لدرجة آلمتني و هو يكمل حديثه .

- أتعتقد أنه قد سبقنا و زرع كاميرات ليراقبنا أو حتى أجهزة تصنت هذا هو التفسير الوحيد .

ترك ذراعي و شرع يبحث في جميع أنحاء الشقة كالمجنون لكن بلا فائدة علي الإطلاق, للمرة المليون عدنا لنقطة الصفر حياتي الآن أصبحت علي المحك, فهذا المجرم أذكي بكثير مما توقعنا .

رد فعلي كان غريب و غير متوقع دجة أذهلت عامر نفسه, الهدوء الذي سيطر علي لحظتها, ارتدائي ملابسي و خروجي من المنزل بعد إخباري له بأني ذاهب لعملي وطلبي منه فعل المثل, فتحت باب الشقة فلم يجد أمامه مفر سوي الخروج دون النطق بكلمة واحدة .

****

بلا وجهة

هل الشعور بالخطر أكثر إيلاما أم فقدان الأمل ؟

علي الأقل عندما يواجهك الخطر تشعر سواء كان شعورك حزنا, خوفا, أو حتى فزعا لكنك تشعر ....
أما فقدان الأمل فيفقدك الشعور من الأساس فتصبح كجثة خاوية هائمة بلا وجهة .

عامر

لازالت لا أصدق أن ثلاثة أيام كاملة مرت و أنا علي هذه الحالة تائه, مشتت , كطفل صغير فقد أهله في الازدحام أعتقد أن هذا أدق وصف لما شعرت به في هذه المدة فبعد اختفاء مصطفي المفاجأ فقدت صوابي بالكامل و شرعت أبحث عنه في كل مكان كالمجنون, أخر مرة رأيته فيها كان بعد حادثة الكاميرات عندما ذهب لعمله ....ذهب و لم يعد .

ذهبت إلي عمله لكني اكتشفت أنه لم يقطع إجازته و لم يذهب إلي هناك يومها و ولو زيارة حتى, أما هاتفه فمغلق و بسبب ذلك لم أستطع تعقبه بالطبع و الأسوأ حقا أني أخر شخص قد رآه, لقد آمنني نفسه و ها أنا ذا قد خذلته, أخبرني معلمي قديما أن الظلم أسوأ شعور قد يمر بإنسان لكني أدركت الآن أنه مخطئ فالعجز هو الأسوأ علي الإطلاق, فأنا عجزت عن إنقاذ صديقي الوحيد مصطفي ....
أنقذت العديد و العديد من الأشخاص من قبل و لكن أنا الآن حقا عاجز عن فعل ذلك. أيعقل أن هذا المعتوه قد قام باختطافه عقابا لنا علي وضع الكاميرات اللعينة؟!
لكن هذا ليس عدلا لقد كانت فكرتي و ها هو مصطفي يدفع الثمن, مجرد تخيل ما يعانيه الآن بسببي أنا يدفعني للجنون, لن يتحمل لقد كان دائما الأضعف بيننا قضيت حياتي بأكملها و أنا أحاول حمايته حتى من نفسه لكني فشلت, أتمني أن يسامحني يوما ما إذا ما كان لا يزال علي قيد الحياة,

ارتجفت كافة أوصالي فزعا لمجرد التفكير في احتمال فقدانه.
ثلاثة أيام أخري مضت في بحثا بلا جدوى كأن الأرض انشقت و ابتلعته بالمعني الحرفي, و رأسي توقف عن العمل لقد نفدت لدي كافة الحلول و هذا ما كنت أظنه ففي مساء اليوم السادس خطرت لي فكرة و هي أن أبقي في منزل مصطفي الليلة عسي أن يأتي هذا المعتوه لتغير الرقم كعادته و حينها أواجه و أجبره علي الاعتراف بمكان تواجده, هذا هو الحل الوحيد المتبقي أمامي و أتمني من كل قلبي أن ينجح.
لحسن حظي أن مصطفي قد وضع عندي نسخة من مفتاح شقته في الماضي, و قبل أن يحدث أيا من هذا, صديقي المسكين كان يخشي دوما أن يصيبه مكروه و هو وحيدا داخل شقته فأعطاه إياي ليطمئن قلبه قليلا, ساعدني هذا المفتاح للبحث عنه عندما أختفي و سيساعدني الآن لإيجاده و لو كلفني الأمر حياتي فهذا هو سبيلي الوحيد للنجاة من

محاكمة ضميري لي كل ليلة بأسوأ الطرق الممكنة .
وصلت للمنزل في تمام التاسعة مساءا, شعرت بغصة في قلبي في لحظة وصولي فهنا كنا نسهر و هنا كنا نتحدث و .....و الآن كل شيء كئيب, تماما مثلي أنا دلفت الحجرة لأجد لأتأكد من فكرتي فوجدته قد تغير بالفعل إذا فهو قادم الليلة لا محالة سأجعله يدفع ثمن كل ما جعلني أعانيه أنا و مصطفي, أنا من سأسبقه بخطوة هذه المرة و أنا من سينهي الأمر .

أغلقت كافة الأضواء حتى لا يشعر بوجودي فيختفي, جلست في الظلام بجوار الباب منتظرا قدومه لا أعلم كم مكثت لكن ما أعلمه أني كنت متأهبا في كل دقيقة مرت فحياة كلينا تعتمد علي نجاحي.
بعد مرور الكثير من الوقت سمعت صوت شخصا ما يقترب من الباب نهضت من مكاني و أمسكت مسدسي الذاخر

بالرصاص, الحقير معه نسخة من مفتاح المنزل يدخل كما يشاء كأنه منزل والده دلف بكل ثقة و لحسن حظي لم يشعر بوجودي مما هيأ لي الوقت لأمسك به من الخلف و أوجه المسدس نحو رأسه و أنا أصرخ به بصوت عالي كزئير أسد جريح
-أين مصطفي أيها الحقير ماذا فعلت به ؟
إذا أخبرتني أنك قتلته فسأفعل بك ما هو أشد من القتل صدقني .
توقعت الكثير من الردود لكن ما سمعته خالف كل توقعاتي بل و ضرب بها عرض الحائط لدرجة أبعدتني عنه من هول الصدمة بل و أسقطت المسدس من بين أصابعي .
أجابني بصوت مألوف أكثر من أي صوت أخر سمعته في حياتي .
-توقف أنا مصطفي ستقتلني يوما ما في محاولاتك لإنقاذي .
أنهي جملته و ذهب لإضاءة الأنوار لقد كان هو حقا, جمدت في مكاني من هول الصدمة عقلي لم يستوعب بعد ما يري فكيف له أن

يصدق أن الشخص الذي بحث عنه يقف الآن أمامه بهذه البساطة !

مرت لحظات و الصمت سيد الموقف بيننا, بعدها و كأن عقلي عاد إلي أخيرا اقتربت من مصطفي و احتضنته بشدة كأنه خرج من قبره للتو و عاد للحياة مرة أخري في اللحظة التالية ابتعدت عنه و سقطت أرضا و بكيت كما لم أبكي من قبل و عتابي يقطع نحيبي بين الفينة و الأخرى .

- أين كنت كدت أفقد عقلي في البحث عنك ظننت أن..أن ...أنه قتلك و أني لن أستطيع رؤيتك مرة أخري .

ارتجفت كافة أوصالي بعد نطقي بكلمتي الأخيرة, أما مصطفي فرد فعله كان غريب لم أعتده هكذا أبدا صرخ بي بشكل هستيري لدرجة أفزعتني فهو عادة هادئ لدرجة البرود فما سر هذا التحول الجذري في شخصيته .

- لقد مللت, نعم مللت من الخوف و الذعر الذي أعيشه كل ليلة, فالإنسان الطبيعي يستيقظ ليمارس حياته الطبيعية و أنا

أستيقظ لأري كم يوما تبقي لي في هذه الدنيا, الحادثة الأخيرة جعلت شريط حياتي بأكمله يمر أمام عيني أتعلم أن أخر مرة شعرت بسعادة و راحة حقيقة كان ليلية وفاة أسرتي و بعد الحادثة قررت أن أعيش كالميت حياة روتينيه بلا متعة كأنه واجب أؤديه حتى يأتي وقت رحيلي عن هذه الدنيا, لكن كم هي غريبة هذه الحياة تتمني شيء ما لسنوات عديدة و عندما يأتيك هذا الشيء ترهبه و تهرب منه كفريسة تهرب من مطاردها !

لم أكن بحاجة لسماع هذا الكلام فقد عشته بتفاصيله مع مصطفي في الماضي أما الآن فأريد فقط أن أعرف أين أختفي طوال هذه المدة حتى يرتاح قلبي المجهد و لو قليلا .

-أعلم كم عانيت في الماضي و كم تعاني الآن, أعلم أنك خائف, مشتت و مذعور لكن عليك إخباري لماذا اختفيت و أين كنت ؟

-سأخبرك ليرتاح قلبك, كنت في الإسكندرية .

- الإسكندرية ؟! أنا هنا أكاد أفقد صوابي من كثرة القلق عليك و أنت تقضي فترة استجمام عند بحر الإسكندرية .

-ليس هكذا حتى أنت لم تفهمني علي الرغم من كونك أكثر شخص تعلم كم عانيت في حياتي, و الأهم أنك تعلم جيدا لما لم أذهب لهناك طوال هذه السنوات, أتذكر كيف توفت أسرتي الصغيرة ؟

في حادث سيارة علي طريق الإسكندرية كنا قد استأجرنا منزل صغير علي البحر مباشرة لنقضي به العطلة لكننا لم نصل إلي هناك قط ....

و أنا ذهبت إلي هذا المكان بالذات كأني أحاول إكمال الناقص في حياتي قبل أن أغادرها .

قاطعت كلامه بغضب

- لا تكمل فأنا لن أسمح بموتك هذا أولا أما ثانيا فلماذا لم تخبرني علي الأقل ليرتاح بالي .
- ببساطة لأنك كنت سترفض الفكرة من أساسها خوفا علي حياتي و حتى و لو

وافقت كنت ستصر علي الذهاب معي و أنا أردت فعل هذا وحيدا .

- لو أخبرتني كنت سأتفهم .
- لا لم تكن لتتفهم خوفك علي كان سيدفعك للرفض المهم دعنا لا نتجاهل كل هذا الآن و نعود لشيء بسيط تجاهلناه و هو أنك كدت تقتلني بيديك منذ لحظات, ماذا كنت تفعل هنا ؟
- أتيت لمواجهة هذا اللعين لأعرف مكانك, العجز لم يبقي لدي سوي هذا الحل لكن أتعلم اختفائك حقا قد أفادني فقد خطرت علي بالي فكرة لن أقبل بها نقاش أو رفض خاصة بعد ما مررت به في الفترة الماضية .
- حسنا أخبرني ما هي ؟
- اخلع سترتك أولا و سأخبرك بكل شيء.

لم يكن الأمر صعبا فنحن فقط سنتبادل الأدوار هذه الليلة, لم يستطع مصطفي إقناعي بتوسلاته لي ألا أفعل ذلك أعلم أنه يخشي أن يصيبني مكروه لكن الذي فعله أفقده حتى هذا الحق ...

مصطفي

هل اتخذت قرار في حياتك و ندمت عليه دهرا بأكمله ؟
إنه الخوف يا صديقي يدفعنا لاتخاذ القرارات دون تفكير و مع الوقت نكتشف فداحة ما ارتكبنا لكن بعد فوات الأوان .

بصراحة لم تعجبني خطتته علي الإطلاق فهو يجازف بحياته لأجلي و أنا لن أقبل بذلك, أخبرته أن من المستحيل أن أدعه ينفذ هذا الجنون فهذا المجرم قد يقتله دون أن يرف له جفن بالإضافة إلي أنه يسبقنا دائما بخطوة فطلبه مني بمثابة توقيع علي وثيقة انتحاره, لكن ما فعلته أضعف موقفي لكني كنت أعلم في قراره نفسي أن هذا ليس السبب حقا فما جعلته يمر به ذكره بشعوره بالذنب لعدم قدرته علي حمايتي و أنه قد يفقدني بسبب ذلك, أعلم كل هذا لكن عقلي لا يرغب

في التوقف عن التفكير فهو ليتخلص من شهور بالذنب قد يحملني إياه لبقية حياتي و حينها سيكون الموت في اليوم الثلاثين هو الراحة التي أنشدها .
قضائي الوقت في منزله ضاعف عذابي فرؤيتي لذكرياتنا معا مذ كنا أطفال كادت تفقدني صوابي, كدت ألجأ لحبوبي المنومة كعادتي حتي أتخلص من هذا الجحيم المشتعل داخل رأسي لكني آثرت البقاء بجوار الهاتف فربما يحتاج عامر مساعدتي و أنا لن أستطيع خذلانه بهذا الشكل لذلك علي التحمل و لو كلفني الأمر فقدان عقلي بالكامل .
انتظرت حتى الصباح بفارغ الصبر و بمجرد ظهور خيوط الشمس الأولي أمسكت بالهاتف واتصلت بالمنزل علي الفور لكنه لم يجبني قط ....
إذا أخبرتك بكم الأفكار السوداوية التي راودتني في هذه اللحظة بالذات لن تصدقني لم أشعر بنفسي سوي و أنا أركض خارج المنزل كمن فقد عقله, حتى السيارة قدتها

بسرعة جنونية لحسن حظي أن الوقت لازال باكرا و لا يوجد زحام بمعني أصح لا يوجد بشر من الأساس, وصلت إلي المنزل و بداخلي خاطر واحد فقط "لقد آذاه المجرم و أنا ساعدته علي ذلك بسماحي له بتنفيذ خطته الغبية " كان الندم يسيطر علي جسدي أكمله كان كحيوان شره يغرس أنيابه الضخمة داخل جسد فريسته العاجزة دون شفقة أو رحمة .

ركضت نحو الحجرة دون تفكير لأفاجئ بأبشع كوابيسي تتشكل أمامي بكل وقاحة, كنت أظن أني أخطأت لكني الآن متأكد و لا يوجد شيء أستطيع فعله لتلافي هذا الخطأ الشنيع فقد انتهي كل شيء ...انتهي في اللحظة التي رأيت بها عامر و هو ملقي علي أرض الحجرة و دمائه تحيط به بعد أن قررت مغادرة جسده كما قررت روحي أيضا الانسحاب من داخلي كأنها تأبي تحمل الذنب أما عقلي فرفض استيعاب ما هو أمامه بأي طريقة كانت, جلست بجواره علي الأرض و أنا أصرخ به ليستيقظ لكن بلا فائدة

بدأت حركاتي تزداد عصبية و أنا أحرك جسده بقوة ليصحو لكن لا حياة لمن تنادي هذه المرة صرخت بهيستريا و أنا أري جميع ما توقعته يحدث أمامي و أنا عاجز تماما عن إيقافه أو تغييره.

-هل فقدته فعلا ؟

أخر شخص تبقي في حياتي, فقدته و هو يحاول حماية حياتي البائسة ؟

هذه المرة تمنيت بكل جوارحي أن ينهي المجرم فترة عذابه لي و يقتلني, فعلي عكس الأيام الماضية هذه المرة سأستقبل الموت بكل صدر رحب علي ألتقي بكل من فقدتهم في هذه الدنيا و أشعر بالسعادة من جديد في حياتي الجديدة في العالم الأخر .

كنت علي يقين أنني قد خسرته للأبد لكنها لم تكن الحقيقة تفاجأت به و هو يفتح عينيه بوهن و كأني بفتحه عينيه استطعت التنفس من جديد بل و كأن حياتي التي سلبت مني في اللحظات الماضية قد عادت أخيرا, فعامر علي قيد الحياة حقا, استوعبت الأمر بسرعة

و بصعوبة بالغة ساعدته ليرتاح علي السرير.
حاولت استخدام بعض المواد الأولية الموجودة داخل حقيبة الإسعافات التي لم أفتحها من قبل و لم أعلم سبب احتفاظي بها من الأساس حتى اليوم كل غرضي كان معالجته بشكل مؤقت حتي نصل للمشفي , و في خلال هذا الوقت كان قد استعاد وعيه بشكل تام .

- يبدو أن الجرح سطحي لذلك قمت بتطهيره و تضميده و الآن انهض لنذهب إلي المشفي.
- لا لن أذهب الأمر بسيط لا داعي لكل هذا لقد قمت باللازم, المهم الآن أن أخبرك بما حدث معي أمس.

أجبته بانزعاج شديد لم أتمكن من إخفاؤه لأني قد توقعت هذا الرد بالفعل .

- لا المهم صحتك لقد ظننت أني قد فقدتك للأبد, أنت حتى لا تستطيع تخيل ما شعرت به عندما رأيتك هكذا أيا كان ما

تريد أخباري به ستخبرني إياه لاحقا و الآن إلي المشفي .

- قلت لن أذهب و انتهي الأمر و أظن أنك لن تأخذني إلي هناك بالقوة, فلا تضيع الوقت في تفاهات و اجلس لنتحدث.
- كم أنت عنيد يا عامر !!

سأجلس و استمع لكن بشرط أن نذهب للمشفي بعد ذلك.

-اللعنة عليك وعلي المشفي حسنا سأذهب و الآن اجلس لنتحدث قبل أن أفقد أعصابي التالفة بالفعل مما حدث.

جلست بجواره و أنا استمع لكلامه باهتمام شديد و شرع هو يحكي ما حدث ليلة أمس بالتفصيل .

-بعد رحيلك أمس ذهبت إلي سريرك علي الفور لأنتظره هناك, مر الكثير و الكثير من الوقت حتى بدأ اليأس و الملل يتسللان إلي داخلي كالديدان المتطفلة حتى فقدت الأمل تماما, ما خطر ببالي حينها أنه قد اكتشف

خطتنا لذلك لم يأتي فالساعة قد تخطت الثالثة فجرا و لم يحدث أي شيء علي الإطلاق, بعدها بلحظات سمعت صوت حركة قادم من داخل الشقة بدأت أتأهب في مكاني استعدادا للمواجهة الحاسمة التي علي وشك الحدوث بيننا, رأيته و هو يتسلل إلي داخل الحجرة بهدوء, لم ألحظ من معالمه سوي طول قامته فجسده كان مختفي خلف الملابس السوداء التي اختلطت بظلام الحجرة حتى وجهه قام بإخفائه بإحكام شديد لدرجة لم يظهر منه سوي عينيه البنيتين, و بمجرد إعطاء ظهره لي ليشرع في الكتابة علي الحائط باندماج كعادته استغليت تسللت من خلفه بهدوء خشية أن ينتبه لي, كنت علي وشك ضربه و إزاحة القناع عن وجهه لكن الحقير باغتني بضربة قوية علي رأسي بأحد التحف الموجودة بجواره فيبدو أن الحقير قد أنتبه لي منذ زمن بعيد و قرر قلب السحر علي الساحر, سقطت أرضا من شدة الضربة و فقدت الوعي أما هو فقد لاذ بالفرار لأفقد فرصتي الوحيدة في معرفة هويته لكن أكثر ما أثار تعجبي في

هذه المواجهة هو عدم قتله لي لكن لا تقلق في المرة القادمة سأستعد أفضل م.....
قاطعته بعصبية لم يعتدها مني بل و لم أعتدها أنا من نفسي حتى .
-مرة قادمة لن يكون هناك مرة أخري انتهي الأمر لقد أخطأت عندما طاوعتك و لن أخطئ ثانية كدت أخسرك من وراء عناد رأسك السميك هذا, ما حدث اليوم لن يتكرر ما دمت علي قيد الحياة أستطيع تقبل فكرة موتي و التعايش معها لكن ما لا أستطيع تحمله هو فقدانك و خاصة لو كنت أنا السبب في ذلك, اليوم ستعدني أنك ستتوقف عن مساعدتي لا مزيد من المحاولات المتهورة إن كان الموت قدري فليواجهني وحيدا لا أريد أن أفقد حياتي مرتين يا عامر .
-لكن يا مصطفي اسمعني قليلا..
صرخت به بشدة فلم أكن حقا في وعيي بعدما أخبرني بما حدث.
- لا يوجد لكن انتهي الأمر, ستأتي معي للمشفي علي الفور و بعدها إلي منزلك

مباشرة و لن أقبل كلمة واحدة أخري في هذا الموضوع.
حاول إقناعي كثيرا لكن بلا فائدة لن يغلبني في العناد هذه المرة لقد اتخذت قراري و لن أغيره أبدا مهما حدث و لو كان مصيري الموت ذاته سأستقبله هذه المرة بصدر رحب.
مر أسبوع كامل علي الحادثة عامر لا يزال يحاول إقناعي بتكرار المحاولة و أنا لا زالت مصر علي قراري أتصطنع التماسك أمامه و بداخلي فزع و رعب يزداد مع اقتراب نهايتي علي يد هذا المعتوه, الوقت يمر و معاد موتي يقترب كم هو صعب أن تعيش فقط لتنتظر موتك عذاب أسوأ من الموت ذاته أحيانا أتمني أن ينتهي الأمر قبل ميعاده عل هذه النار المتأججة داخل صدري تنطفئ .
مرت هذه الفترة بهدوء ظاهري لكنه قد كان فقط هدوء ما قبل العاصفة, فما حدث بعد ذلك كان أبشع من كل ما حدث سابقا كابوس بكل ما تحمله الكلمة من معني فكل ما مررت به من قبل كان تمهيدا لعرض أكثر إظلاما و

دموية لقد كانت هذه اللحظة الشعلة التي دفعتني إلي الانهيار .

انـهيار

هل مررت يوما بلحظة شعرت بتوقف الحياة عندها, لحظة أدركت فيها أن الحياة لن تعود أبدا لسابق عهدها مهما فعلت, أنا مررت بها كنت أعلم أن النهاية أصبحت وشيكة لكن لم أتخيل و لو لوهلة أنها ستكون بهذه البشاعة .

ظننت أني سأستيقظ ككل يوم لأري الرقم قد تغير و انهض لتغير ملابسي و أمضي في سبيلي لكن هذا لم يحدث يبدو أن الحقير قد قرر معاقبتي علي فعلتنا خطط كثيرا ليضرب ضربته في وقت لا أتوقعه, و إحقاقا للحق لقد نجح في ذلك, فما رأيته عندما استيقظت من نومي حفر في ذاكرتي للأبد لا أعتقد أني سأتخطى هذا الأمر أبدا ما حييت .....

دعني أصف لك ما رأيت بالتفصيل الحجرة بأكملها تملأها حبال غليظة ملطخة بالدماء معقودة علي شكل مشانق أحدها سيصبح من نصيبي في النهاية أعلم ذلك جيدا لا خلاص لا يوجد سوي الموت في نهاية الطريق صرخت بقوة و أنا أركض خارج الحجرة و

قدامي تتلطخان بالدماء المتكتلة التي تغطي الأرضية بشكل عشوائي كنت أظن أن خارج الحجرة سيكون الحل الأفضل لأهدأ قليلا لم أكن أعلم أني سأري هناك الجحيم ذاته متمثل أمامي, كم ندمت علي هذا القرار و لكن بعد فوات الأوان فما كان بداخل حجرتي لم يكن سوي جزء من مئات المشانق الأخرى التي تملأ الشقة بأكملها أما الأرض فكانت كبرك داء صغيرة تحيط بي لوهلة شعرت أني حبيس أحد كوابيسي فلا يمكن للواقع أن يكون بهذه البشاعة تمنيت أن أستيقظ لينتهي الفزع و الرعب الذي أشعر لكني لم أستيقظ و لم ينتهي أي شيء إذا نظرت من بعيد ستشفق علي حالتي و لو كنت عدوك فمال هذا المعتوه لا يشفق علي لكن أي شفقة فرسالته واضحة ستموت لا محالة و يمكنك أن تنهي الأمر مبكرا إذا أردت و تختار مشنقتك لتنهي حياتك بيديك لكني كنت أجبن من ذلك و اخترت الهرب, الهرب من كل شيء ركضت كالجنون خارج الشقة توقفت لحظة قبل أن أفتح الباب تخيلت فيها أني

سأجد المبني بأكمله ملئ بالمشانق ليس المبني فقط بل الشارع أيضا الدنيا كلها حتى ارتجفت أوصالي حتى كادت تنفصل عن جسدي من شدة الارتعاش بمجرد تخيل هذا الخاطر لكن لحسن حظي لم أجد شيء .
لكن ما مررت به كان كافي لإفقادي صوابي تماما و إصابتي بالجنون, ركضت في منتصف الشارع كالمجاذيب بأقدام ملطخة بالدماء و أنا أصرخ بهستريا دفعت الناس للابتعاد عني لو كنت في حالة تسمح لي لضحكت ساخرا من هذا الأمر فأكثر شخص يشعر بالرعب علي كوكب الأرض يركض الناس خوفا منه حقا غريبة هذه الدنيا تفعل بنا الأفاعيل دون إرادة منا لا أعلم إلي أين وصلت بركضي لكني أذكر جيدا ما كنت أصرخ بها حينها حتى كادت أحبالي الصوتية تتمزق من شدة الصراخ .

- سيقتلني, سيقتلني ولن يستطيع أحد إنقاذي لقد انتهي الأمر لن يتركني أبدا لن ينتهي الأمر سوي بموتي.

و كأن جسدي أبي أن يتحمل أكثر من ذلك فقد تحمل ما يفوق تحمل البشر بالفعل ستكون أنانية إذا طالبته بتحمل المزيد فطاقتي للتحمل قد نفذت و جسدي قد اتخذ قرار الانهيار بالفعل منذ زمنا بعيد, سقطت أرضا دون أدني إرادة مني بعد أن قطع كل أمل يربطني بالحياة .

- هل انتهي الأمر هكذا بهذه البساطة ؟ أحقا لن ينقذني أحد من موتا محتوم ؟ هل سيكون مصيري انتظار الموت دون أمل بالنجاة ؟ أم أن الجنون سيصيبني فاستغله كحجة لأهرب من معاناتي ؟ أم سيظهر أمل جديد يغير كل هذا الهراء ؟ ....أتمني من كل قلبي أن يكون خياري هو الاحتمال الأخير .

بمجرد فقداني الوعي بدأ الجميع بالاقتراب مني في محاولات بائسة لمساعدتي فكيف سيؤذيهم شخص فاقد للوعي لا حول له و لا قوة ؟

لا أذكر ما حدث حقا لكن أظنهم قد اتصلوا بالإسعاف في مرحلة ما ...

****

عامر

بعد مرور ساعتين.....

كعادتي ذهبت للاطمئنان علي مصطفي لا أنكر أني ذهبت مبكرا اليوم علي غير عادتي لا أعلم ربما بسبب الغصة التي شعرت بها في قلبي منذ الصباح كأن جسدي يحاول تنبيهي بأن شيء شديد السوء علي وشك الحدوث و قد كان حقا, فعندما لم أجده في المنزل بل و حتى أنه لم يجب علي اتصالاتي شعرت بالفزع و قررت دخول منزله بالمفتاح الذي تركه لي للطوارئ شهقت شهقة عالية و ارتجفت كافة أوصالي من هو المنظر تخشب جسدي للحظات أفقت بعدها لأركض بسرعة كالمجنون بحثا عنه لكنه لم يكن هناك قط لم أجد داخل رأسي سوي الأفكار السوداوية كأن كلمة أمل لم تعد جزءا

من قاموسي بعد الآن غادرت المنزل كطفل تائه يبحث عن والدته بين الزحام .
تفاجأت بصوت يناديني قادم من الخلف لم أعلم من هو, اتضح بعد ذلك أنه أحد جيران مصطفي و الذين شهدوا الحادثة في الصباح و لأنه رآنا معا أكثر من مرة أخبرني بما حدث كنوع من المساعدة بمجرد حصولي علي عنوان المشفي التي تم نقله إليها كنت داخل سيارتي أقودها بسرعة جنونية كادت تفتك بكل ما حولها أعتقد أني لم أكن بوعي حتى وصلت إلي هناك أعصابي كانت منهارة لدرجة دفعتني للصراخ بالممرضة و أنا أسألها عن رقم حجرته .
فتحت الباب لأجد نائم علي السرير فاقد للوعي تماما و جسده متصل ببعض الخراطيم الرفيعة التي توصل المحاليل لجسده النحيل الذي ألتهمه الخوف التهاما دون أن يشفق عليه, لم أنتبه للطبيب المتواجد بالحجرة في البداية لكن نداءاته المتكررة دفعتني للانتباه .
- من أنت ؟

تلجلجت قليلا في ردي كأني قد نسيت من أنا للحظة فعلقي ظل عالقا في صورة مصطفي المتشكلة أمامي .
-أنا ...أنا..اسمي عامر صديقه, كيف حاله الآن ؟ ماذا أصابه؟هل سيكون بخير.
-أهدأ قليلا يا بني و سأجيبك علي كل أسألتك لكن دعنا أولا نغادر الحجرة لنتركه يرتاح .
فعلت كما طلب علي مضض فلم يطاوعني قلبي علي تركه وحيدا و هو بهذه الحالة و لو كان فاقد للوعي .
- و الآن لقد خرجنا هل لي بأن أعرف ماذا أصابه ؟
تحدث بهدوء شديد كأنه أعتاد علي ما سيقول مع مئات المرضي من قبل فتحدث معي باقتضاب شديد.
-انهيار عصبي نتج عن صدمة نفسية عنيفة تعرض لها.
-لقد مر بتجربة شديدة الصعوبة حقا و لكن ماذا أستطيع أن أفعل له لمساعدته.

-مبدئيا عليه أن يبتعد عن أي ضغط نفسي تماما في الفترة القادمة و بصراحة اقترح عرضه علي طبيب نفسي أو حتى نقله لمشفي نفسي متخصص ليتم علاجه هناك بصورة مناسبة بالإضافة إلي بعض المهدئات التي سأكتبها له مؤقتا حتي يحدث ذلك .
-حسنا سأحاول أقناعه بذلك عندما يستيقظ شكرا علي النصيحة.
-لا داعي للشكر فهذا واجبي .
بصراحة لم تكن هذه الفكرة سيئة علي الإطلاق بل أنها قد تكون الحل الوحيد لهذه الأزمة فمن ناحية سيتم علاجه و من ناحية أخري سيكون الأمر بمثابة حماية له من هذا المجنون خاصة أن المهلة قد شارفت علي نهايتها .
لم أستطع تركه في هذه الفترة و لو للحظة و احده انتظرت حتى استعاد وعيه ليحكي لي ما حدث معه بالتفاصيل, كان يبكي كطفل صغير مع كل كلمة يحكيها لا أستطيع لومه فمجرد تخيل شعوره لحظتها أفزعني بالكامل

فما بالك بأن تمر بهذا الكابوس بل و تكون جزء منه لقد رأيت ما رأي و لكن لم أكن المقصود لذلك من المستحيل أن يكون شعورنا متماثل فمهما حاولت سأظل كالمتفرج أما هو فالممثل الرئيسي للحدث .
أمسكت بيده في محاولة بائسة لمواساته و لبث الأمل في نفسه أخبرته باقتراح الطبيب.
-إذا ما رأيك هل أبدأ بإجراءات نقلك علي الفور؟
أجابني بصوت أرهقه الزمن و فعل به الأفاعيل .
-أي مكان الآن سيكون أفضل من العودة إلي هذا الجحيم .
بعد يومين تم الانتهاء من الإجراءات أشرفت بنفسي علي نقله للمشفى الذي اقترحه الطبيب, تركته بالغرفة ليرتاح قليلا ثم ذهبت للطبية مريم التي ستكون مسئولة عن علاجه في الفترة القادمة لأشرح لها الأمر بالكامل لتبدأ بتحضير خطة العلاج
علي الرغم من كونها طبيبة من المفترض أنها اعتادت أن تسمع عن الكثير من

الحوادث البشعة من مرضاها إلا أنها لم تستطع إخفاء دهشتها مما سمعت فما أصاب صديقي المسكين لم يكن ليخطر علي بال بشر فمن الصعب أن تتخيل مرور شخص واحد بكل هذا شيء مفزع بكل المقاييس.
اطمأننت عليه للمرة الأخيرة لأجده قد غط في نوم عميق نتيجة المهدئ الذي تناوله للتو, ذهبت إلي المنزل لأرتاح قليلا أنا أيضا فقد قضيت اليومين الماضيين بلا نوم فما بين المشفي و منزل مصطفي بحثا عن دليل بمساعدة فريق كامل من البحث الجنائي و ما بين إجراءات نقله لم يتسني لي الوقت لأرتاح ولو للحظة واحدة سقطت علي السرير من شدة التعب و غفوت في نوم عميق فيجب أن أرتاح فسأحتاج إلي كافة تركيزي في الفترة القادمة.

مصطفي

لماذا نحاول دائما الهرب من أقدارنا رغم أننا ندرك جيدا أنها حقيقة واقعة لا مفر منها لكنه الإنسان يعافر حتى النفس الأخير لكن السؤال يبقي هل سيستطيع في النهاية تغيير قدره؟

في الصباح استيقظت و كلي أمل فوجودي في المشفي سيحميني من المجرم و لو مؤقتا لن يستطيع إيذائي و أنا هنا بين كل هؤلاء البشر أو علي الأقل هذا ما ظننته وقتها لكني كنت مخطأ فقد ظننت أن الأسوأ قد مر و لا يمكن لأي شيء أن يكون أسوأ مما مررت به حتى الموت ذاته لكن للأسف كنت مخطئا هذه المرة أيضا .

فما حدث في ذلك اليوم فاق جميع التوقعات أبشع كوابيسي تكرر بتفاصيله أمام عيني نفس الكلمات التي نغصت حياتي في الفترة الماضية موجودة علي حائط حجرة المشفي بكل وقاحة ليس هذا فقط فقد أضاف جملة جديدة هذه المرة ليؤكد أن نهايتي ستكون علي يديه لا محالة و مهما حاولت الهرب "أنا قدرك لن تستطيع التخلص مني مهما فعلت فالنهاية قادمة لا محالة وأنت لا تملك سوي الانتظار"

و بالتأكيد لم ينسي وضع لمسته الأخيرة مشنقة وحيدة ملطخة بالدماء .

تظن أن فقداني صوابي بالكامل بعد ما رأيت مبالغة فما رأيت من قبل كان أبشع أليس كذلك قد تكون محقا لأنك لم تفهم المغزى بعد فما أفزعني ليس المشهد بحد ذاته و لكن المبدأ نفسه فما يحدث يعني أن يستطيع الوصول إلي أينما كنت و أينما اختبأت لا يوجد مكان أمن و لا أحد لمنعه بالفتك بي في أي لحظة يريد.
لحظة إدراكي ذلك انهرت تماما كنت كالإعصار الذي يدمر أي شيء من حوله بلا هوادة لم يصمد أي شيء علي الإطلاق حطمت كل ما وقعت يدي عليه بلا تفكير لوهلة شعرت أن الجدران هي الأخرى علي وشك التحطم من شدة صراخي, جسدي ينتفض بلا توقف كأني فقدت السيطرة عليه فجسدي و روحي كانوا علي وشك أن ينفصلوا معلنين كلمة النهاية.

هناك حقيقة واحدة فقط أدركتها كان علي أن أدركها منذ البداية لكني فهمتها متأخرا
فلن يستطيع أحد إنقاذي من مصيري المشئوم هذا مهما حاولوا فما أعيشه الآن هو الجحيم بعينه و لا أحد ينجو من الجحيم
أخر ما أذكره هو رؤية الطبية و بعض الممرضين و هم يركضون إلي داخل الحجرة أعتقد أنهم قد سمعوا صوت صراخي لا أعلم لما كنت أقاومهم حاولوا الإمساك بي لإعطائي حقنة مهدأة لكني استمريت في المقاومة حتى نجحوا هم و فشلت أنا كما أفشل في كل شيء .
كل شيء بعدها كان كالخيال وضعوني علي السرير واستسلمت بعدها لنوم عميق لفترة طويلة دون الشعور بأي شيء كم كنت أحتاج لهذا السكون أتمني فقط ألا يزورني في أحلامي .

عامر

تظن أن أصعب شعور قد يمر علي الإنسان في حياته هو فقدان أقرب الناس إليه لكنك مخطأ فالأسوأ هو الخوف من الفقد فعلي الأقل إن فقدتهم فستتألم و لكنك بالرغم من ذلك الألم سيأتي وقت و ستمضي في طريقك حاملا ذاك الحمل بداخلك أما الخوف من الفقد فيشبه الدوامة تعلق بها و لا تخرج منها أبدا لتتحول حياتك لسلسلة من العذاب الأبدي .

كنت في منزلي أهم بالرحيل عندما اتصلت بي الطبيبة مريم و الفزع يسيطر عليها بالكامل لتخبرني بما حدث فما أصاب صديقي المسكين فاق توقعات الجميع تماما فحتى المشفي لم يعد مكانا أمنا بالنسبة له خرجت مسرعا من المنزل كمن أصابه مس من الجنون شعرت بقلبي يحترق من الداخل و أنا أري صديقي الوحيد نائم في سريره بلا حول و لا قوة و الحائط المجاور له ملطخ بالدماء بهذه الكلمات اللعينة.

في هذه اللحظة بالذات اتخذت قرارا هاما و هو إعادة محاولة الكاميرات مرة أخري فلن أكتفي بكاميرات المشفي السخيفة التي اختفت أشرطتها هي الأخرى فلم يعد هناك وقت و لا يوجد أمامي الكثير من الحلول هذه المرة لن أخبر سوي مريم اعلم أني لا أستطيع أن أثق بها يثق بشكل تام فأنا لا أعرفها جيدا بعد لكنها ستسهل أمر التركيب لي و هذا ما أحتاجه .

المؤلم في الأمر حقا هو إدراكي التام أن هذه الأشرطة ستختفي هي الأخرى كسابقتها لكني الآن كالغريق المتعلق بقشة يعلم أنها لن تنقذه لكن لا يستطيع تركها و التخلي عن الأمل فيظل عالقا بها للأبد أو حتى تنقطع في يوما ما .

غدا اليوم الثلاثين يوم النهاية و يوم الحسم غدا سينتهي كل شيء تماما كما بدأ لا أعلم كيف ستكون النهاية لكني اتخذت قرار أخر فإذا لم تنجح هذه المحاولة أيضا سأقوم بنقل مصطفي إلي المنزل بل و سأستقيل من عملي أيضا إذا اضطرني الأمر حتى لا أتركه و لو للحظة واحدة و إذا أراد هذا المجرم قتله سيكون مضطرا لمواجهتي أولا لتكون نهاية المواجهة إما قاتل أو مقتول فإذا حدث شيء لمصطفي لن يبقي هناك معني لحياتي فكلانا فقد عائلته و كلانا لا يملك سوي الآخر فإن مات هو أيضا فسأنتهي حقا هذه المرة لن أتحمل فقد جديد يكفني ما فقدته بالفعل .

تحدثت مع مريم بشأن خطتي بل و نفذتها أيضا و بمجرد انتهائي من ذلك عدت مرة أخري إلي حجرة مصطفي أخيرا زال تأثير المهدئات من جسده و بدأ باستعادة وعيه تدريجيا كنت أحاول التخفيف عنه لكن اليأس قد سيطر علي كل ذرة من ذرات جسده بالفعل لم وحده من دب اليأس في قلبه فحتى أنا سيطر علي اليأس لكني حاولت إخفاء ذلك عنه حتى لا أزيده هما فوق همه, نظر إلي نظرة لن أنساها بحياتي و كأن لمعة الحياة اختفت من عينيه كيف لا و قد فقد كل أمل موجود بداخل ففقدان الأمل يعني موتك و أنت علي قيد الحياة, أكمل نظرته بحديثه الذي أحرق قلبي معه فلم يكن الوحيد الذي يتألم في هذه اللحظة.

- ليس لدي القدرة علي تغيير مصيري أعلم ذلك جيدا فموتي أصبح أمرا محتوما, لم يتبقي سوي بضع ساعات و ينتهي الأمر لا يوجد أمل و أنا علي قيقن تام أن هذا المعتوه سيأتي لقتلي في الغد و لن يوقفه شيء مهما حاولنا لذلك لا

أريد سوي قضاء أخر لحظات حياتي معك فأنت أعز أصدقائي و أقرب شخص بالنسبة لي حتى عندما أدارت لي الدنيا ظهرها أنت فقط من بقيت بجواري خاصة بعد حادثة أهلي لذلك عليك أنت تعدني بإكمال حياتك من بعدي بشكل طبيعي لا تدع الانتقام يسيطر عليك و يدمر حياتك عدني يا عامر فهذا أخر طلب سأطلبه منك .

تسلل الدمع من عينيي دون أن أشعر بالرغم من الألم الذي شعرت به بعد سماعي لكلماته إلا أني حاولت التماسك أمامه علي الأقل حتى لا ننهار سويا و حاولت إمداده بعض الأمل الذي لم أكن أملك أدناه بداخلي .

- أرجوك توقف عن هذا الكلام المتشائم لن يصيبك أي مكروه, بالمناسبة نسيت أن أخبرك يا لا غبائي فاليوم وضعت كاميرات جديدة لمراقبة المجرم هذه المرة سنمسك به أعدك بذلك حتى إذا اختفت سأخذك لمنزلي و أحميك بنفسي.. لن أتركه يؤذيك أكثر من ذلك

أرجوك ثق في هذه المرة و أعدك أني لن أخذلك .

أجابني بهدوء يحسد عليه.

- لا تتعب نفسك فالنتيجة معروفة مسبقا و النهاية محسومة منذ اليوم الأول, أنا لست خائفا من الموت ربما كنت كذلك في البداية لكن الآن لا بل العكس تماما الموت لمن في وضعي هو الراحة و الخلاص فأنا كالمحكوم بالإعدام, اليوم أو غدا أو حتى بعد شهر لا يوجد فرق سوي طول فترة عذابي لا يوجد شيء أخشي عليه بعد وفاتي سواك المزيد من الوقت لا يمثل سوي المزيد من الألم والعذاب و أنا لم أعد أستطيع التحمل أكثر أريد أن أرتاح أريد أن ينتهي كل شيء ليتسنى لي أن ألتقي بكل من أخذتهم مني الحياة بلا رحمة ألا يحق لي أن أرتاح يا عامر بعد كل هذه المعاناة.

لم أستطع الرد فلو نطقت بكلمة واحدا سأنهار باكيا بجواره,شعرت أني أتمزق من الداخل عالق بين أمرين و كلاهما أسوأ من

الأخر فمن ناحية أقف عاجز عن مساعدة أقرب الناس إلي من مصير كارثى بجميع المقاييس فحتى الآن باءت جميع محاولتي بالفشل ومن ناحية أخري لا أستطيع التسليم بالأمر الواقع و تقبل فكرة وفاته أمام عينيي بهذه البساطة....

قضينا باقي اليوم في تذكر ذكريات طفولتنا عندما كانت الحياة بسيطة خالية من الهموم كنت أحاول إعطاءه سبب للتشبث بهذه الحياة أمل يدفعه للرغبة في البقاء حتى ولو كان بسيطا, لم أرحل سوي بعد أن غلبه النوم من شدة التعب التفكير و عدت أنا إلي منزلي لأقضي ليلة من أسوأ الليالي التي مرت علي في حياتي فخوفي من فقدانه تحول لهاجس مرضي يبث بمئات الأفكار السوداوية داخل عقلي بقيت علي هذه الحالة حتى الصباح و قد حسمت أمري هذه المرة سأخذ مصطفي إلي منزلي سواء اختفت الأشرطة أم لا لن يشكل أي فارق لن أجازف أكثر من ذلك لقد جازفت بما فيه الكفاية بتركه ليلة أمس بلغت مريم بقراري

فور وصولي لتباشر هي بالمعاملات اللازمة لذلك بعدها اتجهنا لغرفته مباشرة دخلت هذه الغرفة بحماس لأبشره بقراري كان لدي العديد من الآمال و الأحلام لفترة مكوسنا معا لكن كلها تحطمت بمجرد فتح هذا الباب لوهلة ظننت أني أخطأت فلا يمكن أن تكون حجرته إنها الجحيم بعينه .
المشهد الذي رأيته فاق كل قدرتي علي التحمل لم أكن أظن أني سأواجه مثل هذا اليوم حتى في أبشع كوابيسي, أظن أن عيناي كادتا تقفزان من محجريهما في وقت ما أما قلبي فشرع يدق بعنف حتى كاد يشق صدري أما عقلي فلم يكن معي أعتقد أنه رحل منذ زمن بعيد ...
و أنا أفتح هذا الباب كنت أتمني رؤية وجه مصطفي الباسم الهادئ لكن ما رأيت كان المشانق العديد و العديد من المشانق الملطخة بالدماء كانت منتشرة في الغرفة بأكملها لكن لم يكن هذا الجزء الأصعب علي الإطلاق .
فمشنقة واحدة فقط كانت تحمل الرسالة الأبشع لتضع كلمة النهاية لهذه الملحمة

بحملها لجسد أخي مصطفي دون شفقة أو رحمة, رحل عن الدنيا بأكملها دون أن أتمكن من حمايته و كما وعد المجرم نفذ تهديده بكل قسوة .
كانت مريم تصرخ بجواري من الصدمة بينما دلف بعض الموظفين إلي الحجرة الصراخ يزداد و يزداد من حولي و أنا أحدق في ذهول أحاول استيعاب ما أراه لكن بلا فائدة سيل من الذكريات القديمة يمر أمام عيني ضحكاتنا البريئة أخر كلمات قالها لي قبل أن يموت كل لحظة قضيناها معا كأن الزمن توقف عند هذه اللحظة الشيء الوحيد الذي أدركته هو أن حياتي لن تعود أبدا كالسابق.
جملة واحدة أعادتني لوعيي كانت تشبه الصفعة علي وجهي" هيا ساعدوني لإنزال الجثة "
جثة!!

نظرت ناحية هذا الشخص نظرة مخيفة دفعته للتراجع و أكملت طريقي ناحية مصطفي

بهدوء غريب أمسكت بجسده البارد و أزلت حبل المشنقة الغليظ الملطخ بالدماء من حول عنقه, وضعت جسده الساكن علي أرض الحجرة ثم نهضت لإحضار بطانية و غطيته بها حتى يعود الدفء لجسده البارد ثم احتضنت بقوة لدرجة كادت تفتك بأوصاله من شدتها أذكر أني صفعته في مرحلة ما حتى يستيقظ حاولت إيقاظه بشتى الطرق لكن بلا فائدة.

- استيقظ يا مصطفي استيقظ لنذهب إلي منزلي كما وعدتك لا تتركني وحدي يا صديقي يا أخي, أعدك أني سأحميك هذه المرة بكل ما أوتيت من قوة لكن لا تتركني هكذا ..هل خاصمتني لأني أخلفت بوعدي و تركته يؤذيك معك حق لكن سامحني هذه المرة فقط و أعدك أن سأفي به هذه المرة.

شعرت بيد أحدهم علي كتفي التفت لأجد مريم تنظر إلي أن هدأت قليلا و شرعت تتحدث و الدموع تتساقط من عينيها علي الرغم من إدعائها التماسك.

-عامر أرجوك لا تفعل هذا بنفسك أعلم أن الموت مؤلم لكنه حقيقة مهما كانت قاسية لا نستطيع إنكارها علينا فقط تقبلها و تقبل ألمنا معها مصطفي قد ترك عالمنا و رحل لمكان أفضل بكثير من هنا و لا نستطيع سوي أن ندعو له بالرحمة .
لا أعلم ما الذي حدث لي لحظتها الدموع كانت تنهال من عينيي كسيل من المطر يأبي أن يتوقف صرخت بها بشدة أفزعتها و دفعتها للتراجع قليلا إلي الخلف بحركة لا إرادية.

- مصطفي لم يمت هل تسمعيني؟

لم يمت مصطفي لم يغادر هذه الحياة بعد فمن المستحيل أن يتركني أبدا, اتفقنا منذ نعومة أظافرنا علي ألا نفترق و مصطفي يفي بوعوده دائما أليس كذلك يا مصطفي.
نظرت إليه نظرة أقرب للتوسل و أنا أرجوه .

- أرجوك انظر إلي استيقظ اثبت لهم أنهم مخطئون و أنك لا زالت علي قيد الحياة

, جميعهم كاذبون يحاولون خداعي,
أرجوك لا تفعل بي هذا... لا تتركني .
كانت كلماتي أشبه لنحيب أكثر منها للصراخ هذه المرة, تفاجئت بعدها بقدوم الشرطة لأخذ جثته للتشريح, لا زالت لم أستوعب الصدمة بعد في بداخلي هو لازال هناك و كل ما أراه ليس إلا كابوس انتظر أن استيقظ منه في أي لحظة لكني اكتشفت بالطريقة الصعبة أن الحياة أبشع من أبشع كابوس قد نعيشه.
حاولوا سحب جسده من بين يدي لكني صرخت بهم بكل ما أوتيت من قوة و دموعي لازالت تنساب بلا توقف, فكيف أتركهم يأخذوه مني بهذا الشكل ؟
- ابتعدواااااا أخبرتكم أنه لم يمت .
كل صراخي لم يثنيهم عن أخذه لكن هذه المرة بالقوة لم تجدي أيا من محاولاتي أو استجدائاتي نفعا و رغم مقاومتي المستميتة أخذوه مني في النهاية أخذوا روحي و تركوا جثة باردة مكان جسد كان ينبض بالحياة يوما.

جسدي بأكمله ينتفض كأني قد فقدت السيطرة علي انفعالاتي, الجميع يحاول تهدءتي و جعلي أسلم بالأمر الواقع و أرضي بقضاء الله لكن مع الأسف ليس من السهل علي الإنسان استيعاب فكرة الموت بالرغم من أنه حقيقة لا مفر منها كل منا سيذهب إلي خالقه يوما ما عندما يأتي ميعاده, لكن الأصعب من تقبل موته هو ذاك الشعور بالذنب الذي يحرقني من الداخل بلا هوادة كأنه أسواط تجلد جسدي بلا توقف عجزت عن حمايته خذلته بغبائي و هو من دفع الثمن .
لحظات طويلة تمر و الصمت أصبح سيد الموقف بعد أن كان الضجيج يعم المكان لكن نظرات العيون المصدومة فضحت كل ما بداخلنا بعد أن عجزت الكلمات عن وصف أي شعور, تفاجأ الجميع بانتفاضة جسدي و حركتي كالمجنون فجأة دون أي مقدمات أتحرك داخل الحجرة و خارجها كمن صعقته الكهرباء كنت أبحث عن تسجيلات الكاميرات التي وضعتها بالأمس علي أصل للفاعل, صرخت بشدة عندما اكتشفت أنها

اختفت أيضا كسابقتها و ألقيت بالكاميرات علي الأرض و شرعت أحطهما بعنف حتى تحولت لأشلاء صغيرة لا يمكن إعادة تجميعها مرة أخري مثلي تماما من الداخل كأني انتقم من القاتل بها .
لكن ما صدمني بحق وسط كل هذا هو الجملة الجديدة المكتوبة علي الحائط بكل دموية ووقاحة.
"المهلة قد انتهت ونفذت وعدي بالرغم من كل محاولاتكم الفاشلة و أخيرا تحققت العدالة و نال المذنب جزاء أفعاله"

فقدت صوابي بالكامل بعد قراءة هذه الكلمات شعرت بغضب عارم يجتاحني كإعصار مميت, صرخت بكل ما أوتيت من قوة و أنا أنظر للحائط كأنه المجرم الذي فعل هذا بصديقي الوحيد.

- سأنتقم منك أيها الحقير لن تفلت من عقابي أبدا أينما كنت لن أترك حق مصطفي يضيع هكذا بهذه السهولة .

بدأ صوتي يهدأ تدريجيا كأني استهلكت طاقة حبالي الصوتية بأكملها في الجملة السابقة .

- علي أي ذنبا عاقبته عن أي عدالة تتحدث العدالة الوحيدة التي ستتحقق ستكون بانتقامي منك .

غادرت المكان بأقصى سرعة لم يكن لدي أي قدرة علي التحمل أكثر من ذلك كل فجزء من المكان يذكرني بما حدث و كأن الجدران تضيق بي في كل لحظة أتواجد فيها بالداخل حتى كادت تقبض أنفاسي المتبقية ركضت كأن شياطين الجحيم قد غادرته و أتت خصيصا لتلاحقني كنت أظن أن ضيق صدري سينتهي بخروجي من هنا لكني كالعادة كنت مخطئا, شرعت أسير في الشوارع هائما علي وجهي غير مستوعب لما يحدث من حولي علي الإطلاق لا أذكر حتى إلي أين ذهبت أو ماذا فعلت بقيت علي هذه الحالة حتى المساء و كان قد حل بي تعب شديد فذهبت للمنزل علي أجد بعض السكون هناك لأكتشف أنه ليس إلا حلم بعيد المنال

يصل إلي حد الاستحالة فيبدو أن هذا اليوم يأبي أن يتوقف عند هذا الحد فكما يقولون المصائب لا تأتي فرادي وها هي كارثة جديدة تضرب من جديد فكل ما فعله هذا اللعين لم يكفيه بعد كأنه يستكثر علي الحزن حتى فيحرمني من الوقت الكافي للتعايش مع هذا الحزن ليحل محله غضب عارم سيدمر كل شيء من حوله و أولهم هذه اللعين .

أجبت هاتفي الذي لم يتوقف عن الرنين منذ وصولي للمنزل لأتلقى خبر أخر شديد البشاعة فجثة مصطفي قد اختفت من المشرحة و الوصف الأدق كأنها تبخرت أو حتى لم توجد من الأساس, سقطت أرضا و أنا أصرخ بكل جوارحي حتى لا أفقد المتبقي من عقلي في مرحلة ما .

- لم يتركه يرتاح حتى في قبره حرمني من إيصاله إلي مثواه الأخير علي قبر من سأبكي الآن كيف سأتحدث معه مرة أخري و لو كان في العالم الأخر...

حاولت مسح بعض من دموعي التي تساقطت رغما عني لأري أمامي الصورة

الكبيرة المعلقة علي الحائط و التي تجمعني بمصطفي نهضت بالرغم من رفض قدمي التام لهذا الفعل أمسكت بالصورة بحرص و أبعدتها عن ذلك المسمار القديم الذي يربطها بهذا الحائط سقطت أرضا و أنا احتضن صورتنا كأني أودعه من خلالها فلم يبقي جسد لأودعه لم يبقي سوي الذكريات, أعتقد أني لم أبكي هكذا علي فراق أسرتي, لا أعلم كم مكثت علي هذه الحالة حتى استطعت النهوض مرة أخري فلا وقت الآن للحزن أو رثاء النفس فالفترة القادمة ليس لها سوي عنوان واحد فقط و هو الانتقام.

انتقام

دائما ما كنت أسمع أن الانتقام يدمر الإنسان
لم أستوعب الأمر حينها و لكني الآن و بعد

أن أصبحت في هذا الوضع فهمت ما كانوا يقصدون جيدا و لكن بعد فوات الأوان .

بعد الحادثة كرست حياتي بشكل كامل لإيجاد قاتل مصطفي ساعدني أصدقائي
الأصعب من الموت ذاته هو البقاء علي قيد الحياة كم كنت أتمني لو أن هذا اللعين قبض روحي ليلتها لينتهي عذابي بدلا من تركي هكذا غارق في ندم لا يقوي أحد علي تحمله لم أستطع حمايته ليلتها و لا حتى حماية جثمانه, علي الأقل علي أن أحظى بانتقامه

ليرتاح في مثواه الأخير حينها فقط سأتمكن من الموت بسلام .

****

مر شهر كامل منذ يوم الحادثة لم أستطع فيه الوفاء بوعدي لمصطفي لم أتوقف عن البحث عن هذا اللعين لكن الفشل كان حليفي في كل مرة, لم أصل حتى ولو لطرف خيط واحد فقط ليساعدني و مع كل يوم يمر يتسلل اليأس إلي داخلي بالتدريج كم كنت أخشي أن يستطيع التملك مني بالكامل في مرحلة ما فماذا سيحدث حينها؟
هل سأترك دماء صديقي تذهب هباء ؟
أعلم أني بما أفعله أخلف وعدي معه لكن لا أستطيع الأمر يفوق طاقتي علي الاحتمال لقد سيطر علي الانتقام و أنتهي الأمر ملاذي الوحيد الآن هو أن أجد القاتل لينتهي الأمر للأبد .
وكأن الله استجاب لدعواتي أخيرا وأتي طرف الخط بنفسه إلي, فبينما كنت أجلس في منزلي في حالة من التيه كعادتي انظر

للصور التي جمعتني بكل من فقدتهم في الماضي, جاءني اتصال من مجهول يطلب مقابلتي علي الفور تنبهت جميع حواسي بالكامل عندما سمعت اسم مصطفي في حديثه فهذا الشخص يدعي أنه يعلم الكثير عن قاتله!

لم أكن متأكد إن كان يخدعني أم لا ؟

لكن ما اعلمه جيدا هو أني لن أفوت هذه الفرصة علي الإطلاق ولو كانت كذب فحتى في كذبه قد يوصلني للقاتل إن كان هو من أرسله, بدلت ملابسي في أقل من عشر دقائق ثم انطلقت مسرعا لمكان المقابلة الذي لم يكن سوي أحد مقاهي الحسين العتيقة الغريب في الأمر حقا أن هذا المكان هو مكان مصطفي المفضل فكلما ضاقت بنا السبل أتينا إلي هنا لتبادل الهموم لا يمكن أن يكون الأمر مجرد صدفة أعتقد أن من اتصل بي لم يكن سوي القاتل ذاته!

تحركت يدي بشكل لا إرادي ناحية المسدس الذي خبأته في خصري للتأكد من وجوده مرت نصف ساعة و الوضع كما هو عليه و

هذا المجهول لم يظهر بعد أنهيت قهوتي و شرعت أنظر ناحية الباب كأسد يتربص بفريسته لينتظر اللحظة المناسبة ليفتك بجسدها إلي أشلاء, هناك شاب واحد فقط لفت انتباهي ليس فقط لمحاولته إخفاء وجه عني لكن لحماقته أيضا فقد أصطدم بأحد العاملين بالمكان لتتساقط الكؤوس كلها صانعة صوتا مدويا جذب انتباه الجميع بما فيهم أنا, الأمر كان طبيعي عند هذا الحد أما ما حدث بعد ذلك فكان أقرب منه للخيال أكثر من الواقع لوهلة ظننت أنني أحلم فأي عقل قد يستوعب ما رأيت للتو.

نهض الشاب أخيرا بعد أن ساعد في جمع أشلاء الكؤوس المحطمة نظر في عيني للحظة واحدة كأنه يعرف أين ينظر تماما في البداية لم ألمح سوي عيناه كانتا مألوفتان بشكل كبير لكن لم أستطع معرفة صاحبهما في البداية لكن عندما نهض و نظر بشكل واضح كدت أفقد صوابي بل و أفقد وعي من هول الصدمة, أنه كان ينظر في عيني مثلما انظر أنا كأنه يؤكد علي وجده لكن لا

مستحيل لا يمكن أن يكون ما أراه حقيقة لقد أرهقت نفسي كثيرا حتى بدأت بالهلوسة فلا يمكن أن يكون هذا حقا مصطفي؟!
كيف و لماذا و متى ؟ هل يمكن أن يكون ما أراه حقيقة؟
لا يعقل لقد رأيت جثته تتدلي من المشنقة بعيني هاتين شعرت ببرودة جسده الذي غادرته الحياة عندما احتضنته, إذا كيف حدث هذا ؟
لا شيء مما أراه الآن منطقي علي الإطلاق حاولت تمالك نفسي لأتمكن من التحقق من الأمر نهضت مسرعا لأقطع الشك باليقين لكني لم أجده اختفي تماما كأن الأرض انشقت و ابتلعته في الثواني الماضية التي شردت فيها .
ما هذا الذي يحدث معي الاتصال المجهول أولا و الآن هذا بالتأكيد الأمران متصلان فجميع هذه الصدف لا تجتمع هكذا سوي في الحكايات الخيالية .
أخرجني من أفكاري صوت رنين هاتفي المزعج فوجئت باسم مريم يضئ الشاشة

أجبتها و الفضول يتملكني لتزيده هي أضعاف بطلبها الغريب أن أقابلها علي الفور لتخبرني بشيء هام عن قصية مصطفي؟
ماذا بحق الجحيم يحدث هنا ؟!
أدرك تماما أن هناك شيء خطير يحاك من وراء ظهري و علي أن اكتشفه بأسرع وقت ممكن قبل أن أفقد صوابي.

****

ذهبت علي الفور للقاء مريم و أنا في حالة يرثي لها, فعقلي مشتت و قلبي حائر و جسدي أصبح أشبه بالموتى الأحياء الذين نراهم في التلفاز, هالات سوداء متكدسة علي جفنان منتفخان تشيان بقلة نومي أو انعدامه, جسد نحيل بعد أن كان ينضب بالعضلات يوما ما, ذقن نسيت وجودها منذ زمن بعيد و سيجارة لا تفارق يدي بعد أن كنت قد أقلعت عنها منذ زمن بعيد جئت و بي القليل من الأمل أن مريم ستجيب بعض من تساؤلاتي

لكن ما حدث كان العكس تماما فقد زادت من حيرتي أضعاف.
لم تعطني فرصة لأروي لها ما حدث فبمجرد جلوسي قامت بتشغيل مقطع فيديو أرسل إليها من مجهول, لا أدري ما شأن هذا المجهول معي اليوم فأنا لم أستوعب بعد ما حدث منذ قليل و ها هي التعقيدات تزداد و تزداد كأنها لعنة تأبي أن تتوقف.
لم أستطع إغلاق فمي المفتوح علي مصراعيه أو حتى غلق عينيي التي أوشكت علي الخروج من محجريهما من هول الصدمة فالتسجيل الأول كان لمصطفي و هو يكتب لنفسه علي حائط غرفته بالمنزل كلمات سطرت بالدماء أما التسجيل الثاني لمصطفي أيضا لكن هذه المرة ليس في منزله بل في المشفي و هو يشنق نفسه !!
أعتقد أن ما أشعر به الآن قد يدرج تحت بند الأزمة القلبية فكيف لقلبي أن يتحمل كل هذا دفعة واحدة, مصطفي فعل كل هذا لنفسه لم يكن هناك مجرما من الأساس كنا نبحث عن

القاتل و إذا هو بالضحية, لكن من هذا الذي رأيته بالمقهى ؟
أيعقل أنه ليس سوي وهم لا أكثر؟
و من هذا المجهول الذي أستطاع الوصول لكل هذه المعلومات و لماذا ظهرت اليوم بالذات؟
كانت المفاجآت تتوالي بسرعة لدرجة كادت أن تفتك برأسي بلا هوادة .
بقيت علي هذا الحال لأكثر من عشر دقائق عالق في دوامة غير منتهية من التساؤلات حتى قاطعتني مريم لننهي هذا الصمت .

- ألن تعلق علي ما رأيته للتو ؟ أعلم أنك لازلت في مرحلة الصدمة لكن لا دري لما أشعر أن هناك شيء أخر بك منذ أتيت إلي هنا و قبل حتى أن أريك هذا التسجيل .
- معك حق فهذا اليوم لو تم تصنيفه لأندرج تحت بند "عجائب و غرائب ".

أنهيت جملتي بضحك هستيري علي نكتتي السخيفة و مع الوقت تحول هذه الضحك إلي نحيب و أنا أحكي لها كل ما حدث معي اليوم

بالتفصيل صمتت قليلا لتفكر في ما أخبرتها به للتو قبل أن تجيبني بتساؤل جديد كاد أن يدفع بعقلي المسكين إلي الانفجار ليتخلص من كل هذا البؤس .

- إذا قلنا أن التسجيل يفسر لنا الجزء المتعلق بعدم إيجاد القاتل لأنه لم يكن هناك قاتل من الأساس, لكن بما سنفسر اختفاء الأشرطة بعد انتحار مصطفي فالأشرطة بها مشهد انتحاره فمن لديه القدرة علي الحصول عليها بل و كيف علم بأمرها من الأساس ؟

و لماذا الآن ؟

و بما سيستفيد بفعلته هذه ؟

صرخت بها قليلا بدون وعي .

- لا أعلم, لا أعلم أي شيء إنه ذلك المجهول الذي اتصل بي لكن من هو و لما يفعل ذلك حقا لا أدري؟هل يمكن أن يكون مصطفي حقا و أن معجزة ما قد حدثت؟!

عقلي سينفجر من كثرة التفكير.

لكني سأعلم و لو كان أخر شيء أفعله

بحياتي.
نهضت مسرعا بعد أن كاد عقلي ينفجر إلي أشلاء من كسرة الضغط عليه, لتنادي علي مريم و تحاول تهدئتي قليلا لنكمل حديثنا بصعوبة عدت معها و أنا أحاول السيطرة علي أنفاسي المتلاحقة من شدة الانفعال لتكمل مريم حديثها كأن شيئا لم يكن .
-التسجيلات تؤكد أن مصطفي مصاب بفصام حاد في الشخصية تخميني الشخصي أن حادثة والديه التي أخبرتني عنها كانت سبب رئيسي في ذلك أما بالنسبة لاختفاء الجثة و ظهور التسجيلات فلا أعلم من قد يفعل كل هذا لكنه بالتأكيد ليس مصطفي فالأموات لا يستيقظون يا عامر فلا ترهق نفسك بتفكير لن يفعل لك شيئا سوي إيذائك و لا تتعب نفسك في البحث فالأيام كفيلة بإظهار الحقيقة كاملة كما تري خذ قسطا من الراحة ستحتاجه فلا أحد يعلم ما قد يحدث غدا .
ابتسمت في سخرية و أنا أكرر كلمتها في قراره نفسي "أرتاح!" .

ذهبت للمنزل و أنا في حالة يرثي لها مما اكتشفته اليوم فلم يكن هين علي الإطلاق استيعاب كل هذا دفعة واحدة, دلفت إلي حجرتي لأريح جسدي المنهك أما عقلي فلم يتوقف عن التفكير و لو للحظة واحدة منذ بداية اليوم و حتى الآن حتى شعرت به و قد أوشك علي الخروج من داخل جحيم رأسي هربا مما أفعله به كنت أظن أني سأجد الراحة في حجرتي لكن ما رأيته قد ضرب بجميع توقعاتي عرض الحائط ليصبح المشهد أقرب منه لمشهد مبتذل لأحد أفلام الكوميديا السوداء, فيبدو أن ما حدث اليوم كان فقط البداية, بداية لسيناريو عشته كاملا بتفاصيله من قبل و الآن أراه يتكرر مرة أخري أمام عيني بكل وقاحة لكن باختلاف بسيط فأنا الضحية هذه المرة.
أخر شيء كنت أظن أني سأراه علي حائط غرفتي هو نفس الكلمات الدموية التي كانت السبب في موت مصطفي لكن مع اختلاف المهلة فقط.

"ستموت في ثلاثة أيام الأمر لم ينتهي بعد أنت أيضا ستعاقب كمصطفي انتظر نهايتك"
لم أكن أدرك حقيقة شعوري في تلك اللحظة, أصابني شعور غريب لم أشعر بمثله من قبل علي الرغم من كل الآسي التي مررت بها في حياتي من قبل كأن شيئا يخنقني من الداخل ألما يعتصر فؤادي بكل قسوة أما تفكيري فقد شل بالكامل كأن عقلي لم يكن هناك لحظتها فما أراه الآن قلب جميع الموازين و ضرب بالمنطق عرض الحائط فإن كان الشريط يثبت انتحار مصطفي فمن الذي يهددني الآن بالقتل ؟ هل من الممكن أن يكون مصطفي حقا علي قيد الحياة و هو من يفعل ذلك, لكن كيف ؟ و لكن حتى لو صدقت هذا الاحتمال فلماذا سيريد قتلي ؟ هل للأمر علاقة بالفصام كما قالت مريم ؟ لا أدري حقا لا أدري و لكن للأسف لا أملك سوي الانتظار, انتظار موتي كما كتب بهذا الشخص أيا كان أتمني إذا جاء معادي أن يكون موتي سريعا فدائما ما كنت مقتنع أن الموت السريع أفضل فلا يوجد به عذاب

الانتظار لكن الأيام فقط هي من ستحدد موت من سيكون.
لم أجد سوي مريم لأتصل بها و أحكي لها عما حدث علها تساعدني للحصول علي تفسير لكن كالعادة لم نصل لأي شيء فكيف لأي عقل بشري تفسير هذا الهراء الذي بحدث معي .
-كنت أتمني حقا مساعدتك يا عامر لكن الأمر أكبر مني و منك و لا أستطيع إيجاد أي تفسير .
-لا داعي لإيجاد تفسيري فلقد اتخذت قراري .
أجابتني بدهشة .
-عن أي قرارا تتحدث؟.
- لا مزيد من المحاولات سآخذ بنصيحتك لن اتعب نفسي أكثر من ذلك لقد سئمت الفشل, هذه المرة سأنتظر فقط سأنتظر أيا كان من سيظهر أمامي فسأستعد جيدا للقائه إن كان مصطفي سأطلب منه تفسير حتى لا أفقد صوابي و إن كان شخص أخر سأرغمه بشتى الطرق علي إخباري سبب فعلته و في

الغالب سأقتله بعدها, اعلم أن المخاطرة كبيرة لكن ليس لدي خيار أخر.
صمتت قليلا قبل أن تجيبني هذه المرة .

- حسنا أوافقك الرأي في فكرة الانتظار فقد كان اقتراحي منذ البداية لكن علي الأقل عليك إخبار زملائك في العمل ليؤمنوا لك حماية في هذا اليوم فالحذر لن يضر .
- صرخت بها بعصبية لم تتوقعها .
- الحذر لن يضر؟!

بلا سيضر فقد يرحل هذا الحقير قبل أن أعرف الحقيقة لن أجازف باختفاء هذا المجرم أيا كانت نتيجة هذا اللقاء فإن كنت سأموت في هذا اليوم أفضل الموت بعد معرفة الحقيقة علي الأقل.
لم تجد مريم جوابا مناسبا لإقناعي و لم أجد أنا أدني طاقة لإكمال الحديث رميت بجسدي المنهك علي السرير لأرتاح و لو قليلا, قضيت ليلتي أحدق بالحائط حتى غلبني النعاس في مرحلة ما, أعتقد أن علي شراء حبوب منومة غدا كما كان يفعل مصطفي

شعرت بغصة بداخلي عندما وصلت إلي هذه النقطة من التفكير فلا أدري حقا هل سأستطيع تحمل الحقيقة التي أوشكت علي الظهور؟.

****

اللقاء الأخير

نسعى دائما لاكتشاف الحقائق بلا توقف
ففضول الإنسان يدفعه للدخول إلي أكثر
الأماكن ظلمة ليرضي هذا الفضول لكنه لم
يدرك بعد أن أكثر الأماكن ظلمة تتواجد
بداخله دون أن يدري.

علي الرغم أن المدة لم تكن طويلة هذه المرة إلا أن الأيام مرت ببطء شديد, من أصعب الأشياء التي قد يمر بها الإنسان هي انتظار مصير مجهول, لوهلة ظننت أني سأفقد صوابي من التفكير, فالاحتمالات التي تدور بخلدي لا تنتهي, النهاية تقترب بالرغم من ذلك لا زلت أشعر أنها بعيدة فبداخلي أريد أن ينتهي الأمر الآن و في هذه اللحظة و في نفس الوقت لا أريد أن يأتي هذا اليوم أبدا فلا أعلم إن كنت سأستطيع تحمل الحقيقة المروعة التي أوشكت علي الظهور .

****

و أخيرا جاء الموعد المنتظر الليلة الأخيرة التي ستكشف بها جميع الحقائق للأبد, غدا ستنتهي حيرتي و يرتاح عقلي و قلبي قضيت ليلتي و أنا أحدق في الفراغ ككل يوم تحاوطني الأفكار من كل جهة بلا شفقة أو رحمة كأني فريسة ضعيفة تحيط بها الضباع من كل ناحية تنتظر أن تشرد للحظة حتى تفتك بها و ترديها لأشلاء .
هل يعقل أن أقابل مصطفي غدا ؟ أم سأقابل شخص معتوه يستغل موته بكل وقاحة ؟ خطرت ببالي العديد من السيناريوهات الممكن حدوثها لكن لا شيء منها سيضاهي الحقيقة بالطبع.

و أخيرا أشرقت الشمس لتنبهني بقدوم اليوم الأخير نهضت من سريري بتثاقل فالانتظار الحقيقي يبدأ الآن فقد يأتي في أي وقت صباحا مساء لن أي يشكل فارق سوي المزيد من الانتظار الذي لا ينتهي لكن ما لم أتوقعه فعلا هو وجوده في صالة منزلي يجلس بكل هذا البرود مواليا ظهره لي .
اقتربت بهدوء حتى أستطيع مباغتته ليكون لي الأفضلية, كنت علي وشك ضربه بزجاجة وجدتها بجواري لكنه التفت بسرعة ليباغتني هو و ليس العكس علي الرغم من أنه لم يفعل أي شيء سوي النظر إلي ليس إلا لكن هذا فقط كان كفيلا لجعل الزجاجة تسقط من يدي لتتحطم بالكامل كأشلاء تماما مثلي أنا حدقت به و أنا في حالة من الصدمة فعيناي لا تستوعبان ما أري....
بالتأكيد هذا حلم سأستيقظ منه الـآن أغمضت عيني لحظات لكن لا شيء تغير كان يجلس أمامي يحدق بي كما أحدق به كان من المفترض أن أسأله العديد من الأسئلة لكن صوتي لكم يساعدني بل أثر أن يظل حبيسا

داخل حنجرتي و لو مؤقتا معلنا اعتراضه عما يحدث الآن مر أكثر من عشر دقائق علي هذه الحالة قرر بها صوتي أخيرا التنازل قليلا ليخرج في صورة مرتعشة باهتة مثلي تماما.

- مستحيل, أن يكون ما أراه حقيقة أنت حقا ....مصطفي!

لكن كيف لقد رأيت جثتك بنفسي ؟

كنت أشعر بالتيه كطفل صغير لا يفقه شيئا مما يدور حوله, عالق بين شعورين متناقضين, سعادتي برؤية صديقي الوحيد علي قيد الحياة بعد أن ظننت أني فقده للأبد, و صدمتي القوية و عدم قدرتي علي تفسير ما أعايشه الآن, انهلت عليه بالأسئلة بلا توقف كأحد مقدمي برامج المسابقات في فقرة أسئلة السرعة .

- مصطفي هل هذا أنت حقا ؟

أنا في هذه اللحظة أقف أمامك و أستطيع أن أتحدث معك أراك و تراني صحيح؟!

لكن لماذا فعلت هذا ؟
لماذا زيفت موتك ؟
لماذا تركتني أعاني هكذا ؟
هل أجبرك أحد هل فعل هذا الأمر هيا أخبرني, أخبرني لا تخفي عني شيء.
تحولت كلماتي لنحيب مكتوم أقرب منها لحديث .

- اشتقت لسماع صوتك كثيرا يا صديقي اشتقت لوجودنا معا ضحكاتنا و بكائنا علي من فقدناهم أرجوك أخبرني بكل ما حدث معك منذ البداية ليرتاح قلبي.

نهض من مكانه بكل هدوء ليقف أمامي تماما تفاجأت كثيرا عندما دفعني بكل قوته و هو ينظر لي نظرة قاسية لا تحمل بين طياتها سوي الألم و الحقد و الكراهية نظرة لم أرها بعينه قط لم يقتصر الأمر عند هذا الحد فضربتها تلاها سيل من الحديث الأشبه بالبركان الذي لن يخمده ماء بل لن يزيده سوي اشتعالا .

- كفاك تمثيلا و توقف عن ألاعيبك السخيفة يا هذا فقد سقطت الأقنعة و أمرك قد كشف.

نظرت له للحظات أحاول استيعاب ما قاله للتو حاولت السيطرة علي أعصابي لكن دون فائدة لأتفاجئ بنفسي و أنا أصرخ به لأول مرة بحياتي تقريبا .

- ما هذا الهراء الذي تقوله ؟ يبدو أنك فقدت عقلك, ثم عن أي تمثيلية تتحدث أنت, كفاك ألغازا و أفرغ كل ما في جعبتك قبل أن ينفد صبري .

كنت أحاول أن أفهم ما هذا الذنب الذي اقترفته ليعاملني مصطفي بهذا الشكل القاسي لكنه أستمر علي نفس الكلام دون تفسير ليستفزني أكثر.

- أخبرتك أنت توقف تمثيليتك السخيفة فأنا أعلم ما فعلت جيدا و كل ما أريده منك هو أن تخبرني بالسبب فبالنسبة إلي هو الحلقة الوحيدة المفقودة, هيا أخبرني بسبب خيانتك لي, ماذا فعلت لك لتؤذيني بهذا الشكل أيها الحقير؟!

كان حديثه عبارة عن صراخ لا ينتهي و جوابي أيضا لم يكن يختلف كثيرا فما قاله للتو قد أفسد أعصابي لدرجة لن أستطيع السيطرة عليها مر ة أخري .

- ماذا فعلت أخبرني ماذا فعلت ؟

كيف تجرؤ علي اتهامي بخيانتك يا هذا؟ فكل ما فعلته حتى الآن كان لأجلك لإنقاذك أنت من خنتني و خدعتني بتزييفك لموتك كما زيفت كل شيء أخر لقد احترقت ألما علي فراقك طوال هذه المدة لكن يبدو أنك لم تكن تستحق دمعة و احده من الدموع التي ذرفتها حدادا علي فراقك .

ابتسم بخبث غريب جعلني أشعر بغصة في نفسي و هو يكمل كلامه بهدوء أقرب إلي البرود علي عكس باقي حديثه .

- يبدو أن صدمتك بأني لا زالت علي قيد الحياة أنستك محاولة قتلي و كتابتك علي حائط غرفتي و كل محاولاتك الفاشلة لتدفعني للجنون, لا تنظر لي هكذا ألم أخبرك أن الستار قد زال و الحقائق

أصبحت واضحة كالشمس لكنك لا زالت تعاند لا أعلم لماذا؟

كلامه الأخير أكد لي أن مريم كانت علي حق و أنه مصاب بالفصام حقا, لكن لا يوجد طريقة سهلة لإخباره بهذا علي أن أكون واضح و صريح فقد تكون الصدمة هي علاجه لكن علي الرغم من إدراكي لكل هذا لم أستطع تمالك أعصابي و إخفاء الانفعال عن صوتي و حركات جسدي اللاإرادية .

- كل ما تقوله ليس سوي أوهام صورها لك عقلك المريض أنت من فعلت كل هذا بنفسك يا مصطفي لقد رأيت أنا ومريم الأشرطة بأنفسنا أنت من كنت تكتب هذا الكلام علي حائط منزلك و حائط المشفي أيضا, صدقني لا أحد يريد أن يقتلك و خاصة أنا, أنت من حاولت الانتحار لأنك مريض بالفصام , أنا لم أفعل لك

شيئا سوي مساعدتك منذ البداية لذلك أسمح لي بمساعدتك مرة أخيرة .

كرر نفس الابتسامة الخبيثة كأني أتعامل مع شخص أخر لا أعلم كم سأستطيع تمالك أعصابي قبل أن أفقد عقلي أنا أيضا من ردود أفعال .

- هل صدقت حقا التسجيلات لم تكن غبيا قط فماذا حدث لك الآن؟

كنت أعبث معك أنت و هذه الطبيبة الحمقاء ليس إلا فهذه التسجيلات صورتها بنفسي بعد الحادثة ....آه الآن فقط علمت سبب دهشتك كنت و ستظل جبان يا عامر حتى عندما أتيت لقتلي في المشفي أخفيت وجهك حتى لا أكتشف حقيقتك لكنك نسيت أن الغباء قد يفضح صاحبه أتذكر اليوم الذي قضيته في منزلك يوم بدلنا الأدوار كنت ابحث عن مسكن للصداع بالصدفة وجدت الأشرطة عادة لا أترك فضولي يسيطر علي لكن هذه المرة تركته و لحسن

حظي أني فعلت حتى لا أظل مخدوعا بهذا الشكل أكثر من ذلك.
شاهدت الأشرطة و فهمت كل شيء لن أنكر دهشتي عندما رأيتك ملقي علي الأرض في اليوم التالي يا لك من ممثل رائع و مخادع محترف و غبي أيضا لتركك الأشرطة بهذا الإهمال لكني ممثل بارع أيضا و استطعت إقناعك بخوفي عليك يومها .
أعجزتني الصدمة عن الحديث أما هو فلم يتوقف عن الحديث بنفس البرود .

- تريد أنت تعلم كيف نجوت من الموت يومها أخبريني سبب فعلتك أولا ؟

حدقت ناحية الفراغ للحظات لأحاول استجماع نفسي, نفسي الحقيقة التي أخفيتها كثيرا حتى أوشكت علي نسيانها تماما حان الوقت لتغير نظرتي أنا من الصديق المصدوم للقاتل بارد الأعصاب ذو النظرات المخيفة لأتحول لشخص أخر تماما لم يكن سوي أنا

- أتفق معك فأنا حقا مندهش من وجودك أمامي الآن و علي قيد الحياة بعد أن قتلتك بنفسي, أحط عنقك بالحبل الغليظ و جذبته بكل قوتي لأستمع لفقرات عنقك و هي تستغيث و أنت أيضا راقبت أنفاسك الأخيرة و هي تغادر جسدك, شاهدتك تتعذب و أنا ابتسم من خلف قناعي ..لكني لا أفهم حقا كيف نجوت فقد تأكدت من موتك بنفسي أنا شرطي لا يمكن أن أخطئ في أمر كهذا عقلي لا يستوعب كيف نجوت بهذه السهولة .

نظر إلي بثقة كأن إثارة فضولي تغمره بالسعادة ليشعر و لو للحظة أنه قد تفوق علي حقا لكنه مخطأ .

- دعنا نتجاهل كل ذلك الآن فسأخبرك بكل شيء و بالتفصيل لكن أخبرني أولا سبب فعلتك الدنيئة فلن يغادر أحد هذا المكان قبل أن يتضح كل شيء للأبد.

أكملت حديثي بنظرات باردة خالية من أي تعبير حتى أزيد من حيرته قليلا .

- قبل أن أخبرك السبب هناك شيء هام عليك معرفته أعلم أنها ذكريات أليمة بالنسبة لك و لكن تحمل صديقك القديم قليلا فصدقني سأحرص هذه المرة أن ينتهي كل شئ للأبد ...

أتذكر يوم وفاة والديك السيارة التي أصريت علي قيادتها بنفسك, الحادثة الشنيعة التي أودت بحياتهم و نجوت أنت كعادتك لكن شعورك بالذنب تجاههم دمر حياتك بالكامل بعدها بالمناسبة كان من المفترض أن تموت يومها معهم يا لك من وغد محظوظ و بائس, يومها أرسلت شخص لتخريب السيارة خطة مثالية فأي شخص يموت سأكون أنا المستفيد فإن مت أنت سأكون قد تخلصت من ك و إن لم تمت و مات أحد أفراد عائلتك ستعيش في دوامة من اللوم تجلد بها ذاتك كل ليلة و لا تستطيع الخلاص, في كلتا الحالتين كنت سأستمتع برؤيتك تتعذب أمامي لكن أتدري أن كل هذا العذاب لم يكفيني لم

يشفي غليلي و لو لثانية واحدة و حينها قررت إكمال انتقامي الذي تركته في المنتصف, أكملته بلعبة كما بدأ بلعبة, أراهن أنك لا تتذكرها فبعد الحادثة لم تذكر اسمها و لو لمرة واحدة مع أنك من فعلت بها هذا أختي الصغيرة نور كم اشتقت إليك يا عزيزتي, كم اشتقت لضحكتك البريئة.

تنهدت و أنا أتذكرها كأني أراها أمامي فجرح فراقها لم و لن يشفي أبدا كأنه علق بداخلي و علقت أنا به أكملت كلامي و أنا أشعر ببعض الدموع قد تسللت خفية إلي داخل عيني لكني تجاهلتها .

- أذكر هذا اليوم كأنه حدث البارحة يومها أكملت عيدها الرابع كنت أكبرها بسنتين مثلك تماما, أنهينا الاحتفال و ذهبنا للعب في الغرفة, لعبتك السخيفة التي اخترعتها (إدعاء الموت) من يدعي الموت أطول فترة ممكنة يفوز لعبة بسيطة لكنها لم تكن أبدا كذلك بالنسبة

إليها, المسكينة كانت تخسر دائما و أنت بالطبع لا تفوت فرصة للسخرية منها, يومها تركتنا لتشرب كأس من الماء بعد أن شعرت بجفاف في حلقها و عادت بعدها بلحظات لكن بوجه شاحب الأغرب أن أدائها قد تحسن كثيرا هذه المرة أدعت الموت لساعة كاملة حتى مللنا اللعبة لكنها لم تمل, حتى جاءت والدتي لتطمئن علينا أوقفنا اللعبة لكن نور لم تستيقظ حاولت أمي إيقاظها كثيرا أخبرتها أنها لازالت تعلب لكنها لم تفهم و لم تتوقف أخبرت نور أنها فازت لتنهي اللعبة و تنهض لكن بلا جدوى فنور لم و لن تنهض أبدا أدركت أمي هذه الحقيقة فصرخت لتعلق صرختها في أحلامي منذ هذا اليوم, لا زالت أذكر جيدا النظرة التي رأيتها في عينها و هي تخبرني أنها قد غادرت الحياة بلا رجعة و كأن روحي من انتزعت من داخل جسدي و ليس روحها هي .

اكتشفنا بعد ذلك أن سبب الوفاة هو تناول جرعة كبيرة من المنوم الذي تستخدمه أمي, اعتادته رؤيتها و هي تتناوله و تغط بعدها في نوم عميق لكنها تناولت جرعة أكبر لتنام أسرع و لمدة أطول, أرادت الفوز في لعبتك الغبية لكن ما لم تعلمه أن في لحظة انتصارها ستخسر حياتها في المقابل, لم تتقبل أمي موتها بأي طريقة كانت و كأنها غادرت العالم و هي علي قيد الحياة حاول أبي التماسك لأجلها و لأجلي حتى أتي اليوم المشئوم و توفي الاثنان في حادث سيارة تماما كالحادث الذي تسببت به لك أردتك أن تعايش ما عايشته فكلانا نجونا من الحادثة....

لسنوات طويلة أدعيت صداقتك فقط لاحظي بانتقامي, ألم أقل لك دائما أن كل شيء يحدث لسبب يا صديقي كنت أعنيها بحق لكنك لم تفهم, فهنا لا يوجد عبث كل شيء مخطط و مدروس بالكامل, رؤيتك تتعذب أمامي طوال

السنوات الماضية لم تستطع إطفاء اللهيب الذي يشتعل داخل قلبي فمجرد رؤيتك تتنفس أمامي كانت كفيلة لتذكيري بكل ما مررت به و هنا قررت أن أكمل انتقامي بلعبة كما بدأ الأمر بلعبة لكن هذه المرة وضعت أنا القوانين و أهم قانون هو أنك لن تفلت من العقاب مهما فعلت .

كان يحدق بذهول كمن لدغه العقرب بينما أكملت أنا كلامي الذي أخفيته داخل نفسي لسنوات ككثيرة لا أذكر حتى عددها .

- الآن جاء دورك لتخبرني كيف نجوت من الموت بعد أن رأيت جثتك بنفسي.

كانت نظراته غريبة لم أتوقع رد فعل كهذا كأنه لا يتذكر فعلته الشنعاء بل كأنه لم يعيشها من الأساس, صمت قليلا كأنه يبحث داخل ثنايا عقله عن إجابة مناسبة استغرق وقت طويل قبل أن يعلق علي كلامي لكنه في النهاية أثر الخروج عن صمته .

- معك حق في أمر واحد فقط فأنا لا أتذكر أي شيء مما أخبرتني به أتعلم لماذا

لأنها ليس ذكرياتي من الأساس إنها ذكريات أخي مصطفي الذي اعترفت بقتلك له للتو أما أنا فمازن أخيه التوأم لم أحظي بفرصة التعرف عليه قط أو حتى إخباره بوجودي بسببك أنت أيها الحقير لقد كان طفلا وقتها و أنت عاقبته علي ذنب لم يكن عقله الصغير يستوعبه حتى...

سأروي لك حكايتي مع أنك لا تستحق سماعها منذ أعوام كثيرة و تحديدا يوم ولادتي أنا و أخي لم تكن أمي الوحيدة التي تضع مولودها في هذا اليوم فبالصدفة كان هناك سيدة أخري زوجة رجل ذو شأن هام في الدولة تلد في نفس الوقت توفي صغيرها أثناء الولادة و بسبب خوف الطبيب من ردة فعل زوجها خطرت له فكرة شيطانية دمرت حياتي أنا و أخي للأبد, استغل إنجاب والدتي لتوأم و قام بتبديلي بجثة هذا الطفل و أوهم عائلتي أنه أنا و دفن هو مكاني أما أنا فربتني هذه الأسرة لن أنكر محبتهم لي و حبي لهم لكن مجرد تخيل أن لدي أسرة أخري توفيت

بالكامل قبل أن يتسنى لي حتى لقائهم كان صادما بالنسبة لي ...
و لأن الحقائق لا تظل في الخفاء إلي الأبد اكشفت كل شيء عن طريق الصدفة التي كنت أنت وحدك السبب فيها لكن للأسف لن أستطيع شكرك هذه المرة.
تنهد للحظات قبل أن يكمل كلامه تاركا إياي في دوامة من الأفكار المرعبة .
- البداية كانت برؤيتي خبر وفاة مصطفي بالجريدة الشبه بيننا لم يكن طبيعي علي الإطلاق كأني أري نفسي في المرآة, أخبرت أهلي بما رأيت علي الفور أو علي الأقل من كنت أظنهم أهلي ..في البداية اندهشوا من الشبه لكنهم ظنوه مجرد صدفة لا أكثر لكني لم أقتنع بالرغم من أنا ما حدث معي يعتبر حقا صدفة إلا أني لا أؤمن بالصدف فكل شيء يحدث لسبب كما قلت أعتقد أن هذا هو الأمر الوحيد الذي سأتفق معك به.....المهم بدأت أبحث عن الأمر بتعمق أكثر لا أنكر أن نفوذ والدي قد ساعدني كثيرا في هذا الأمر و في زمن قياسي كنت قد حصلت علي

سجلات المشفي يوم الولادة, لأفاجئ بامرأة أنجبت تؤام في نفس التوقيت أحدهم توفي و الأخر نجي صعقت عند قراءة اسم الوالد كدت أفقد صوابي فهو نفس اسم والد الشاب الذي رأيته مقتولا في الجريدة لا يعقل أن تكون الصدف إلي هذا الحد, و لذلك قررت البحث عن الطبيب للتأكد من الأمر بشكل قطعي و قد كان و ببعض الضغط عليه غرد كالبلبل بالحقيقة كاملة, أكثر ما أحزنني بالأمر هوصدمة أهلي كانت كبيرة بحق لكن بالرغم من ذلك لم يتخلوا عني وأخبروني أني سأظل ابنهم الذي يحبونه للأبد بل إنهم قرروا مساعدتي للانتقام لشقيقي أيضا عندما لاحظوا إصراري علي ذلك .

أول خطوة كانت ذهابي للمشفي الذي لقي حتفه به و هناك قابلت الطبيبة مريم لأول مرة صعقت في البداية من الشبه بيننا لدرجة أنها صرخت في البداية ظننا منها أني شبح علي الرغم من تنكري قبل مقابلتها حتى أني لم أكشف عن مظهري الحقيقي قبل أن أغلق الباب تماما حتى لا يكتشف القاتل أمري,

شرحت لها كل شيء بعد أن هدأت قليلا وحينها أخبرتني بما لم أتوقعه ما قالته كان صادم لكنه ساعدني كثيرا فيما بعد فأحد الموظفين شاهدك ليلة وقوع الجريمة و أنت ترتدي القناع و تدخل غرفة مصطفي و أنت تحمل حقيبة ضخمة المسكين ظن أنه جزأ من العلاج لغرابة الحالة, لكن بعد وفاته تأكد من أنك قتلته لكنه موظف بسيط خشي علي حياته من بطشك فآثر الصمت لم يخبر الشرطة بالأمر لكنه في النهاية اضطر لإخبار مريم فقط لتحذر منك و هي الأخر خافت علي نفسها من التورط في الأمر حتى ظهرت أنا و معي من المال و النفوذ ما يكفيني لأخذ انتقامي و هنا بدأت اللعبة الحقيقة ..

بدأت بالمكالمة المجهولة, رؤيتك لي بالمقهى و التسجيلات التي صورتها لنفسي لأشتتك حتى لا تدرك من أين ستأتيك الضربة و انتهت بالكلمات الموجودة علي حائط منزلك لأذيقك من نفس الكأس الذي أذقته لأخي ليس أخي فقط بل أبي و أمي أيضا لقد حرمتني

من أسرتي بأكملها و الآن بعد أن كشف كل شيء حان الوقت لأحرمك أنا من حريتك و أن تنال عقابك. أنهي كلامه تاركا إياي في حالة من الذهول كأن عقلي قد توقف للحظات عن العمل من شدة غرابة ما سمعته للتو لم يخرجني من هول ما سمعت سوي صوت تحطيم الباب لأفاجأ باقتحام الشرطة لمنزلي برفقة مريم فكل اعترافي كان يتم تسجيله دون أن أدري لكنهم كانوا مخطئين فكل ما أخبرني به ليس هراء فهذا الذي يقف أمامي هو مصطفي يفعل كل هذا للانتقام يريد أن أسجن بتهمة قتله و هو علي قيد الحياة فإن كان كلامه حقيقي فلم لم يخبرني مصطفي من قبل عن هذه الحكاية فطوال هذه السنوات لم يذكر أمر شقيقه صرخت به كثيرا حتى يتركوني فكلهم أغبياء أنا فقط من يعلم الحقيقة .

اتركوني أنا لم أفعل شيئا لم أقتل مصطفي فهو يقف هناك أمامكم لا تصدقوا خداعه هذا .

لم يتوقف صراخي و لم يتوقفوا هم أيضا لقد ظلمت مرتين مرة بفقداني أسرتي و بمرة أخري بما يحدث لي الآن لكني سأكشف الحقيقة للجميع لن أدعهم يفلتون من عقابي بهذه السهولة .

لحظة الوداع الأخيرة

كم من لحظات وداع بقيت بداخلنا نحن فقط و لم يتسنى لنا الوقت لقولها أبدا, لحظات عبرنا بها عن كل ما بجعبتنا من ألم الفراق الذي تعايشنا معه لسنوات حتى ظن الجميع أنه قد اختفي لكنه لا يزال هناك في مكان ما بداخلنا و لو ادعينا العكس .

شكرت مريم علي مساعدتها لي فلولاها لما استطعت الانتقام اليوم لأخي أما عامر فتم تحويله لطبيب نفسي للتأكد من قوة سلامته

العقلية ليتضح بعد ذلك أنه مصاب بفصام حاد في الشخصية أصابه منذ وفاته شقيقته الصغرى لم أصدق في البداية لكن بعدما رأيت أحد جلساته مع الطبيب بنفسي غيرت رأيي بل حتى أني أشفقت علي حاله في مرحلة ما فقد كان حقا الصديق الذي يحاول إنقاذ حياة صديقه و إن كلفه الأمر حياته و في نفس الوقت كان الجلاد الذي قبض روحه بدم بارد ووجه ملثم.

لن أنسي صراخه في الطبيب لطلب رؤية مصطفي ظانا منه أنه لا يزال علي قيد الحياة حقا و يريد رؤيته و تحوله بعدها بلحظات ليطالب برؤيتي ليقتلني انتقاما لما فعلت به, لم ييأس الأطباء من علاجه علي الرغم من تأكدي أنه لن يشفي أبدا من مرضه فقد مر بالكثير أكثر من قدرة تحمل البشر فلو عاد يوما لطبيعته و اكتشف ما فعله بصديقه سيفقد عقله مرة أخري علي أقل تقدير هذا إن لم يقدم علي الانتحار.

حاول الطبيب إقناعي بالظهور أمامه مساعدته كجزء من العلاج لكن زيارتي لقبر

أخي خاوي الجسد كانت تثنيني دائما عن ذلك فحتى لو أشفقت عليه لن أستطيع تخطي أنه أبي أن يعترف بمكان إخفائه لجسد أخي فحتى الآن لم تستطع الشرطة العثور علي جثمانه قط و لن أستطيع تخطي حقيقة قتله لوالدي ووالدتي و حرماني من أسرتي بأكملها إلي الأبد.
الشيء الوحيد الذي أراحني بعيدا عن كل هذا الهراء هو أن أخي توفي دون معرفة الحقيقة كاملة أظن هذا أفضل بكثير من اكتشافه لخيانة صديقه الذي أحبه كأخا له لكن ما يؤلمني حقا هو أننا لم نتلقى كم كنت أود أن أعانقه, أخفف ألمه أو حتى أحميه مما أصابه, أدعو الله أن يجمعنا معا في النهاية .
ذهبت لمنزله بعد أن أصبح جزءا من ميراثي بعد أن أثبت نسبي له, لقد عاني المسكين كثيرا بالرغم من إزالتهم لكل شيء له علاقة بما فعل عامر إلا أن بعض أثار الدماء المتسللة لا زالت هناك, جلست في سريره قليلا و بمعني أدق احتضنته كأني أحتضن أخي و بكيت علي فراقه ليس فراقه هو فقط

بل فراق أبي و أمي أيضا نهضت من مكاني لأدلف إلي حجرتيهما كان التراب يغطي كل شيء عدا ذلك الدفتر الصغير أمسكت به بفضول لأكتشف أنه لم يكن سوي مذكرات مصطفي خرجت من الحجرة لأجلس بالصالون فرائحة التراب قد أرهقت صدري من شدة السعال, كانت مذكراته بمثابة نافذة صغيرة علي عالمه الذي لم أتعرف عليه قط, كنت أقرأ كلماته بكل شغف كطفل صغير, بداية المذكرات كانت اعترافا منه أنه أعتاد أن يدخل إلي حجرة والديه يوميا و ليس كما كان لكنه لم يتجرأ حتى علي تنظيفها فقط كان يخبئ دفتره هناك كأنه يتواصل معهم بشكل ما لكن أكثر ما صمني حقا هو اللحظة التي قرأت بها أخر كلماته كانت بتاريخ اليوم السابق لحادثة المشنقة.

(أعلم أن نهايتي قد اقتربت ولا يوجد مفر منها الآن فقط سأتحرر من شعور الذنب الذي طاردني طوال حياتي لقد كنت السبب في وفاتك يا نور و السبب في وفاة أهلي أيضا أنا لعنة تصيب من يقترب منها يا ليتني

توفيت مكان شقيقي في هذا اليوم, الآن سأدفع ادفع ثمن كل ما سببته من أسي للجميع, فأنا أصبحت لا أهاب الموت بل علي العكس جزء مني أصبح ينتظره و يتمناه, الأن فقط سألتقي بك و سألتقي بوالدي و حتى بشقيقي, أتمني من كل قلبي أن تسامحوني و تحرروني من الذنب الذي طاردني طوال حياتي حتى في أحلامي لينتهي عذابي للأبد في هذه الدنيا و أحظى بالراحة في العالم الأخر مع من أحب"

تمت